العدد ٨١٧ — الاثنين ٢٨ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

فهرس العدد

صفحة

مشروع مسولوتوف ... ... : الأستاذ عمر حليق ٢٤١

الغزى الشاعر ... ... : لصاحب العزة الدكتور عزام بك ٢٤٣

انتقام ... ... : الأستاذ كامل محمود حبيب ٢٤٥

الغرض من دراسة الفكر الدينى : الأستاذ عبد العزيز محمد الزكى ... ٢٤٧

القبائل والقراءات ... ... : الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ... ٢٤٩

الروح القومية ... ... : الأستاذ محمود رزق سليم ٢٥٢

القوة الحربية لمصر والشام فى عصر الحروب الصليبية ... ... : الأستاذ أحمد أحمد بدوى ٢٥٦

« تعقيبات » : كاتب لا يعرف قدر نفسه — كرانتشكو مرة أخرى — ٢٥٨
— رسالة من أديب ثائر — من عجائب الترجمة فى العصر الحديث —
« تشنيعة » على السير ويالزم ٢٦٠

« الأدب والفن فى أسبوع » : الأمير يسطو على شعر الزين — بين ٢٦١
مدير الإذاعة وأم كلثوم — كشكول الأسبوع — جوائز فاروق الأول —
بناة النهضة ٢٦٣

« البريد الأدبى » : نصيب العلم — لا وجود إلا لوجود واحد ... ٢٦٥

« القصص » : فى ميدان الجهاد : الأستاذ وهبى إسماعيل حق ... ٢٦٦

١٨ . ٣٢

17 me Année No. 817

Lundi — 28 — 2 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

مشروع مولوتوف

للأستاذ عمر حليق

فى الخامس والعشرين من يناير سنة ١٩٤٩ أعلنت موسكو تبا تأليف اتحاد اقتصادى للدفعة المشتركة فى منطقة النفوذ السوفياتى ليعمل علانية على مكافحة مشروع مارشال الأمريكى للانعاش الأوربى . وقالت وكالة الأنباء الروسية الرسمية (تاس) التى أذاعت الخبر أن المشروع الروسى الجديد جاء نتيجة لمؤتمرات عدة عقدتها فى موسكو الدول الحليفة لروسيا فى أوائل السنة الجديدة ؛ وأن هذه الدول « التى رفضت الانصياع لديكتاتورية مشروع مارشال » قد أنشأت فيما بينها « مجلساً للمساعدة الاقتصادية المتبادلة لتدعيم التعاون الاقتصادى أكثر فأكثر » بين بعضها وبعض . وقالت تاس كذلك إن عمل المجلس الاقتصادى هذا سيتناول « تبادل الخبرة الفنية والاقتصادية » بين الدول المشتركة فيه ، و « تقديم المعونة المتبادلة للحصول على المواد الخام والمواد الغذائية والآلات الصناعية وما إليها » وأن المجلس سيجتمع دورياً ، وأنه يرحب بكل من يرغب فى الانضمام إليه من الدول الأوربية التى تدين بالمبادئ التى يدين بها مؤسسوه

والمشتركون فى هذا المشروع غير الروس خمس دول فى منطقة النفوذ السوفياتى وهى رومانيا وبولندة وبلغاريا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا . وقد تركت يوغوسلافيا — وخلافها مع موسكو قد اتسعت شقته — خارج هذا المجلس .

قبل سنة ونصف أى فى منتصف عام ١٩٤٧ ، خرج الرفيق مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتى فى اجتماع مجلس وزراء الدول الأوربية بباريس غاضباً . وكان موضوع البحث بين روسيا وفرنسا وبريطانيا فى ذلك الاجتماع مشروع مارشال الأمريكى لإنعاش اقتصاديات أوربا . وقد أصدر مولوتوف عقب انسحابه تصريحاً قال فيه : إن الاتحاد السوفياتى قد رفض المشاركة فى المشروع الأمريكى المقترح لأن أمريكا لا تتوخى إنعاش أوربا بل تريد تقسيمها وبث الشقاق بين دولها .

وتبع تصريح مولوتوف هذا بيان من (البرايت بيرو) القيادة العليا للسياسة السوفياتية اعترف فيه الروس بأن مشروع مارشال هو أكبر تحد يواجه الاتحاد السوفياتى .

وعلى أثر ذلك شرع الروس فى اتخاذ خطوات عملية فى ميادين السياسة والاقتصاد لمكافحة مشروع مارشال . وكان أبرز هذه الخطوات فى مجال السياسة تأليف (الكومنفورم) وهو المركز الرئيسى الرسمى للشيوعية الدولية (وكانت روسيا قد حلته خلال الحرب) وجعلت قيادته المركزية فى العاصمة البلغارية ، وتلا ذلك نشاط عسكرى فى مناطق الثورات الشيوعية فى اليونان والصين واتخذت المساعدة السوفياتية ليهود فلسطين دوراً عملياً لم يشعر العربه بخطورته إلا بعد سنة من استمراره .

ولم تقتصر روسيا فى إجابتها على تحدى مشروع مارشال على

هذه الخطوات السياسية والعسكرية ، بل أردفتها بنشاط اقتصادى تدريجي شبك الروس فيه اقتصاديات دول شرق أوربا بعضها ببعض ثم ربطها جميعاً بالاقتصاد السوفياتى . وهذا فى الواقع عملية ابتدأت روسيا بالعمل بها منذ أن احتلت شرق أوربا أثر تراجع الألمان عنها فى عام ١٩٤٥ ، وكانت وسائل موسكو لتحقيق هذه السيطرة الاقتصادية سلسلة من المعاهدات التجارية وركزت الإنتاج الصناعى والزراعى فى منطقة نفوذها فى بوتقة التبادل التجارى الإقليمى . وقطعت دول شرق أوربا الجزء الأكبر من معاملاتها التجارية مع أوربا الغربية والعالم الخارجى إجمالا . ثم جعل الميزان التجارى فى جميع الدول الشيوعية التحالفة متمشياً مع رغبات الاتحاد السوفياتى الذى أصبح بحكم هذا التوجيه وبما له من سيطرة ونفوذ سياسى ، العنصر السياسى فى الكيان الاقتصادى فى شرق أوربا وهى جزء من العالم يضم ست دول تبلغ مساحتها حوالى عشرة ملايين ميل مربع وعدد سكانها ٢٦٢ مليوناً من الأنفس .

واستمر نشاط الروس فى منطقة نفوذهم لتدعيم النظام الشيوعى ومكافحة الغرب الانجلوسكسونى فى ميادينه الاقتصادية والسياسية والفكرية ، وظل العالم الخارجى لا يعلم إلا قليلا عن مدى اتساع هذا النشاط وبلغ نجاحه بسبب الرقابة السوفياتية الشديدة . ولكن المتتبعين للشؤون الروسية قدروا بأن جواب موسكو على مشروع مارشال الذى أحرز قسطا من النجاح للغاية التى وضع من أجلها — جواب روسيا سيكون من نوع التحدى . وقال الخبراء بأحوال منطقة النفوذ السوفياتى إن هناك خططا اقتصادية مدققة يعمل لها السوفيات بالتعاون مع الحكومات الشيوعية القائمة هناك . وكان هؤلاء الخبراء يطلقون اسم « مشروع مولوتوف » على النشاط السوفياتى . وفى الأشهر الأخيرة كاد العالم ينسى أن هناك شيئاً اسمه مشروع مولوتوف ، اندرة ما تناوله الألسن ، على عكس الدعاية الواسعة التى يلقاها مشروع مارشال فى الصحافة العالمية — أو صحافة الحلف الغربى على الأقل . إلى أن نقلت وكالة تاس نبأ تأليف المجلس الاقتصادى الجديد .

هذا المشروع السوفياتى الجديد ، مجاله منطقة جغرافية غنية بالمواد الخام من الفحم والحديد والزيت لا يزال معظمها فى باطن الأرض ، إذ لا تتوفر لدى دول شرق أوربا الوسائل الآلية الحديثة ولا رأس المال ولا الخبرة الفنية لاستخراجها . فالخبرة فى الإنتاج والتعدين ، ومدى التصنيع فى شرق أوربا إجمالا قاصر عن اللحاق بالحضارة المادية المتفوقة التى عرفت بها دول أوربا الغربية والعالم الجديد . ولذلك فإن الخبراء فى العالم الإنجلوسكسونى يعتقدون بأن هذا المشروع الروسى الجديد سيقتصر على تنسيق المعاهدات التجارية بين الدول الشيوعية ، وأنه لن يسعى لتنفيذ برامج اقتصادية ضخمة تتناول التصنيع وتدعيم التبادل النقدى وغير ذلك من أوجه الاقتصاد التطبيق على النحو الذى يعمل له مشروع مارشال فى غربى أوربا وشمالها وجنوبها .

ويضيف إلى ذلك هؤلاء الخبراء — أن العقبة الكبرى التى تقف فى وجه المشروع الروسى الجديد ، حتى ولو اقتصر على تنسيق التبادل التجارى ، هى أن منطقة النفوذ السوفياتى لا تشكل كتلة طبيعية تستطيع موازنة التبادل التجارى . فليس فى الكتلة السلافية سوى تشيكوسلوفاكيا من يستطيع أن يؤمن تبادلا تجارياً سليما ؛ فتشيكوسلوفاكيا صناعات ثقيلة تستطيع أن تتبادلها مع حاصلات روسيا الزراعية أو حاصلات الدول الشيوعية الأخرى ومعظمها زراعى كذلك .

وكانت هذه الدول قبل أن تنصهر فى الكتلة السلافية تتبادل النسبة الكبرى من محاصيلها الزراعية مع ألمانيا ودول أوربا الغربية المزودة بوفرة الإنتاج الصناعى .

وليس للدول الشيوعية فى منطقة النفوذ السوفياتى الآن سوى روسيا لتتبادل معها الإنتاج الزراعى بإنتاج صناعى يسد حاجتها . ويعتقد الخبراء الإنجلوسكسون أنه ليس لدى الاتحاد السوفياتى وفرة فى الإنتاج الصناعى ما تسد حاجيات حلفائه فى شرق أوربا بسبب مشروعات الخمس سنوات الإنشائية التى تحدد طاقة الإنتاج الروسى وتوزعه على مطالب الشعب الروسى قبل كل شئ . وفوق ذلك فإن وفرة الإنتاج الزراعى فى روسيا نفسها من القمح الأكرانى والمواد الغذائية الأخرى يجعل شراءها للمنتجات الزراعية من الدول الخاضعة لنفوذها ، نوعا من الإحسان لا يستند إلى دعائم اقتصادية سليمة .

وهنا تتدخل لايك سكسس فيقول خبراؤها إن الدول التابعة لمشروع مولوتوف الروسى ، والدول المنضمة لمشروع مارشال الأمريكى ، سيرغمان فى نهاية الأمر على تبادل التعاون . فإن الكيان الاقتصادى الذى تحاول موسكو تدعيمه فى شرق أوربا هو كيان زراعى ؛ وإن الانعاش الذى يحاول الإنجلوسكسون

الغزى الشـــاعر

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

هو شاعر من كبار شعراء العرب عاش فى القرنين الخامس والسادس بعد الهجرة ورحل إلى الشرق فأمضى معظم عمره فى الأسفار ، ونشر شعره بالعراق وخراسان . وكان أحد شعراء العربية الثلاثة الذين عرفتهم بلاد العجم فى القرنين الخامس والسادس . وثانيهم أبو المظفر الأبيوردى الأموى شاعر العربية فى القرن الخامس ، والثالث الأرجانى الذى عاش من سنة ٤٦٠ إلى سنة ٥٤٤ .

ولد الغزى فى غزة هاشم سنة إحدى وأربعين وأربعمائة . وفارق وطنه فى سن الأربعين فدخل دمشق ورحل إلى بغداد . وأقام فى المدرسة النظامية سنين كثيرة . ومدح وولى كثيراً من المدرسين بها — ثم رحل إلى خراسان ومات بها فى طريقه من مرو إلى بلخ سنة ٥٢٣ . ونقل إلى بلخ فدفن بها .

وقد تحدث المؤرخون عن كثرة أسفاره فقال ياقوت فى معجم البلدان : سافر الدنيا . وقال صاحب الخريدة : جاب البلاد وتغرب وأكثر النقل والحركات ، وتنقل فى أقطار خراسان وكرمان .

وقد ذكر هو أسفاره فى مواضع من شعره . يقول :

كم بلدة فارقتها فوجدت فى أخرى مُراداً مكتباً وتمرادا
وتركتها ربداء كالظلم التى يلبسن من فقد البدور ، حدادا
إن كنت سرت عن العراق مؤنبا جيـــا فلست بشاكر بغدادا
فتى أمام وهمتى فوق السها أو يستطيع لى الزمان عنادا

ويقول :

كم لبسنا أمنق الـوابغ ذيلا وطرقنا أحمى القبائل جارا
خلونا بالعامرية والطيل صيـــام والحى ما شـــب نارا
وانكفأنا والفجر يعطس والريـــح تدق بذيلها الآثارا
وشهدنا الوغى وقد رتق النقـــع فتوق الآفاق والأمصارا
ولقينا الملوك عربا وعجما وحصلنا على الجزيل مرارا
ومهونا عن قنص أجنحة المـ ـر بما يصلح المعاد فطارا

وكأنه فى هذه الأبيات يجمل سيرته ، ويذكر خلاصة ما ضيه وتجاربه .

ويقول فى أبيات أخرى .

وطامـــة ترى الخرّيت فيها كأنى تنـــاوله كتابا
ليست قتامها وخرجت منها خروج مهند سُلب القرابا
بسير يحرق النار اشتعالا وعزم يسبق المـــاء انصبابا
ولمـــا قل منتقدٌ وأمت بنانة كل منتحل عقابا
وأصبح منهم الدنيا سناما وخر الرأس وارتفع الذنابى
شمخت بأنف فضلى عن مرام يضم أســـود بيشة والقنابا
وكم أرسلت من مثل شرود سرى فى ظهر قانية لجابا

مدح الغزى كثيراً من أمراء المشرق وملوكه ، كبنى نظام الملك ، والسلطان سنجر بن ملكشاه .

وفى شعر الغزى ، كالابيوردى والأرجانى — وهم عرب خلص عاشوا فى إيران وما يتصل بها فى ذلك العصر وقد حيت اللغة الفارسية وازدهرت آدابها — فى هذا الشعر مجال واسع لتأريخ الأدب العربى وقياسه بالآداب الأعجمية التى نشأت فى حضانته وتحت سلطانه ، وبيان مكانته فى تلك الأقطار .

وفيه كذلك إبانة عن نزعات شعراء العرب فى الأقطار الأعجمية واعتدادهم بأصولهم وتشوقهم إلى أوطانهم .

وقد سبق أبو الطيب المتنبى إلى الحنين إلى الشام ، وافتقاده بنى قومه حينما رحل إلى فارس أشهراً قليلة مدح فيها ابن العميد وعضد الدولة فقال :

أحب حصا إلى خناصرة وكل نفس تحب محياها

وذكر مواطن لهوه فى تلك الأصقاع . وقال أيضاً فى وصف شعب بوان :

ولكن الفتى العربى فيهـا غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها ســـليمان لسار بترجمان

وافتقد ما ألف فى دمشق من ضيافة فقال :

ولو كانت دمشق فى عنانى لبيت البرد صيفى الجفان

تحقيقه فى باقى أوربا هو كيان صناعى ؛ وإن تشابك السياسة والاقتصاد فى الحياة الأوربية والدولية إجمالا ليس من السهل القضاء عليه . ولذلك فإن خبراء لايك سكسس يعتقدون بأن التبادل التجارى بين منطقة النفوذ السوفياتى ومنطقة الحلفاء لن ينقطع مادام أن كلا المعسكرين ليس فى صراع مسلح ، وهذا الاتصال التجارى أحد السدود التى تقف فى وجه اندلاع لهيب جديد

(نيويورك) عمر عليوى
معهد الشئون العربية الأمريكية

وأما الأبيوردي الشاعر الأموي فكان لسان العرب في القرن الخامس . أشاد بمجدهم وتمدح بأخلاقهم وحن إلى أوطانهم وهو لم ينشأ بها ، ولم يعش فيها إلا قليلا في العراق ، حتى سمي قسما من ديوانه النجديات .

وهذا أبو إسحق التنوخي تعاوده ذكرى غزة وباديتها ، وبلاد العرب ، فيعرب عن شوقه وحنينه .

وكما أشاد أبو الطيب بالبداوة حين قال :

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب
بين المميز من الآرام ناظرة ... وغير ناظرة في الحسن والطيب
أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

أولع الأبيوردي ببوادي العرب وكرر ذكرها والإشادة بالعيش فيها .

ومن قوله في هذا :

ويعجبني نفح العرار وربما ... شممت بعرنيني وقد فاح عنبر
ويخدش عمدي بالحصى صفحتا الثرى ... إذا جسر من أذياله المتعثر
وما العيش إلا الغض يحرشه الفتى ... وورد يحسن البراييع أكدر
بحيث يلف المرء أطناب بيته ... على العز والكوم المراسيل تنحر
ويغشى ذراه حين يثم القرى ... ويسري إليه الطارق المتنور

يفخر في هذه الأبيات بالبداوة ، ويشيد بما يعيز به الأعراب من أكل الضباب فيقول :

وما العيش إلا الغض يحرشه الفتى ... في هذه البادية العزيزة الكريمة

حيث تستحكم الشجاعة والسخاء .

وكذلك التنوخي يحن إلى البادية بين الحين والحين . ويذكر قبائل العرب ويمدحها ولكنه أقل من الأبيوردي حماسة وحنينا ؛ يقول :

أين أيامنا بنزة والعيش ... نضير والدهر رحب المجال
ومزايا حسن البوادي بواد ... بهلال في حلة من هلال

أي بإنسان كالهلال حسنا في حلة من بني هلال .

ويقول في تفضيل البدو على الحضر .

وغضة العين يحمي حسنها خفر ... ولا خفير نمين الحسن كالخفر
سجية في البوادي لا أخل بها ... والبدو أحسن أخلاقا من الحضر
تموم كأن ظهور الخيل تنبتهم ... وما سمت بأنبات بلا مطر
لا يحسر الطيف يجري في منازلهم ... مهابة خيمت في مطرح الفكر
إذا رضوا بشفار البيض معتصما ... عزوا إذا احتاج جانيهم إلى وزر

ويقول :

وأبرح ما يكون هوى البوادي ... إذا رفعوا على العيس القبابا
تسير بكل جارحة حشاها ... أسود يتخذن السمر غابا

• • •

ثم التنوخي بعد وقور في شعره حكيم ، يصوغ الحكم والمواعظ ، ويضرب أمثالا من تجاربه وما لقي من غير الزمان . وهو في هذا الفن يبلغ درجة عالية يمتاز فيها . وهو بهما يفتن في ضروب الشعر لا يستطيع إخفاء زعته إلى الزهد ، وابتئاسه بأحداث الدهر ، وقد عاش الرجل أكثر من ثمانين عاما ، وطوف في البلاد كثيرا فرأى وسمع وجرب ملء الأزمنة التي عاش فيها والأمكنة التي أقام بها .

أنظر إلى قوله :

لا تعجبن لمن يهوى ويصدف ... دنياه فالخلق في أرجوحة القدر

وقوله :

ما الدهر إلا ساعتان : تعجب ... مما مضى ، وتفكر فيما بقي
ولكل شيء مدة فإذا انقضت ... ألفيته وكأنه لم يخلق
والمرء أنصب ما يكون إذا ابتغى ... سعة المعيشة في الزمان الضيق

وهنا يظهر الفرق بين التنوخي القنوع والأبيوردي الذي لا تسع الدنيا همه ومطلبه . ويقول التنوخي .

هلا ذكرت شبابي وهو أغربة ... للبين معربة عن غربة السفر
ليت البياض الذي زال السواد به ... أبقى لنا منه ما في القلب والبصر
قد ضقت ذرعا بعيش لا يسوغ ولا ... تعجبه النفس حتى عيل مصطبري
فلست حيا ، ولا ميتا ، ولا دنفا ... ولا صحيحا ، جميع الداء في الكبر

• • •

التنوخي جدير بعناية أدباء العربية لبلاغة شعره وما فيه من سمان قيمة وحكم عالية ، ثم لما في سيرته من تبصرة بأحوال البلاد الإسلامية في ذلك العصر ، وأحوال الأدب العربي في بلاد العرب والعجم .

وديوانه جدير بالتصحيح والنشر . وقد أدرج كثير من شعره غلطا في ديوان الأبيوردي . ولا بد من نشر الديوانين قضاء لحق الشاعرين ، بالعناية بشعرهما وسيرتهما .

عبد الوهاب عزام

صور من الحياة :

انتقـــام

للأستاذ كامل محمود حبيب

دعنى — يا صاحبى — أنفض أمامك جملة حال ، فما فى حديثى ما تضيق له النفس ولا ما يزعج له القلب . هذا أمرى وما كان لى الخيرة منه وإن لأضطرب بين نوازع جياشة لا تهدأ ولا تستقر .

فتعال — يا صاحبى — واجلس إلى جانبى وألق إلىّ السمع ، ثم لا تلمنى فأنا تجربة قاسية من تجارب الحياة ...

صفعتنى الأيام فى غير شفقة ولا رحمة — أول ما صفعت — حين مانت عنى أمى طفلاً أدرج فى فناء الدار ، لا أكاد أعى من أمر الحياة شيئاً ، ولا أكاد أناى عن حضن أمى إلا ريثما أعود إليه أجد فيه الحياة والدفء والحنان جميعاً ، وأبى بين عمله وشبابه فى شغل . وافتقدتُ أمى حين افتقدت القلب الذى يسعدنى وأطمئن إليه ، وحين غاضت الابتسامة الرقراقة الساحرة التى تجذبنى وتحنو علىّ ؛ فرحت أسأل عنها فى شوق وأبكى بُعدها فى حزن ، وأهلى من حولى يهونون بأن أمى ذهبت إلى القاهرة تطب لرضها . وعجبت أن لا أجد لها شبيهاً فى مَن أرى . فهذه عمتى وهذه خالتى وهذه وهذه . . . لا أحس فى واحدة منهن معنى الأمومة ولا ألمس روح الحنان .

واشتد شوقى إليها وتلجت بى اللهفة إلى رؤيتها ، ثم انطوت الأيام وغبرتْ ما ترقأ دموعى ما يخبو .

وصحبتنى جدتى لأبى — ذات ليلة — إلى دارها ، وأرادتنى على أن أستحم وجاءت هى تزيل عنى أوساخ الإهمال وتمسح أمغار الشارع ، تدهن شعرى بالزيت وتضمخ جسمى بالعطر ثم تلبسنى الحرير فى رفق وتلفنى فى الدمقس فى عناية .

يا عجباً ! ما لوجه هذه العجوز الشمطاء يفيض بشراً وإشراقاً وما لها تتزين وتتطيب كأنها فى ليلة زفافها ! .

وسألتها ما الخبر ، فقالت : « يا بنى ، غداً ستذهب لترى أمك فى بيت أبيك » وثوب قلبى طرباً وطار عقلى سروراً ، وشملنى طفولتى فما أستطيع أن أكتم دوافع نفسى ، فذهبتُ أملأ الدار ضجيجاً وصخباً ، أغنى وأسبح وأنادى وأقفز وأجرى ، يكاد إهابى ينشق نشاطاً على حين يغيض قلبى فرحاً . غداً سأرى أبى ! وا فرحتاه ! وذهبتُ أهيئ نفسى للقيا الحبيبة أزين وأتأنق وأقف أمام المرآة أتحسس ملابسى وشعرى وحذائى . ونامت العجوز وأنا إلى جانبها لا يجد النوم إلى عينىّ سبيلا ؛ والأخيلة الجميلة البسامة تتوزعنى وأنا بينها لا أحس مدى الزمن ولا يضنينى السهر وقد مضى الليل إلا أقله .

وفى الصباح استعنت بجدتى ألبسها وأنطق بثوبها ، أستنجزها ما وعدت وهى تستمهلنى ، والساعات تنطوى . والأمل يخبو فى نفسى رويداً رويداً حتى لفنى الوجوم والأسى وبدت علىّ الخيبة وضياع الأمل . وعند الظهر قالت لى جدتى : « الآن ، نذهب لنرى أمك » .

وذهبتُ إلى دار أبى ، إلى جانب جدتى ، أختال فى الحرير والدمقس وأزهو فى طرفتى وعطرى وأرنو هنا وهناك وقلبى يخفق فى شدة وعنف ، تُرى أين كانت تتوارى أمى ، أخفتْ كانت تطب لرضها فى القاهرة ؟ ودخلت حجرة واسعة من حجرات الدار فإذا عبير المسك يتضوع فى نواحيها وتفوح فى جنباتها روح العطر . لقد تأنقت الحجرة فى زينتها وتبرجت فى أثاثها فهى تخطف البصر وتخلب اللب . وأخذتُ أقلب البصر فى أرجاء المكان فما رأيت المرأة الجالسة فى أقصى الحجرة إلا حين قالت جدتى العجوز « هذه أمك » واندفعت أنا إليها ألقى بنفسى بين ذراعيها وأدفن وجهى فى حجرها لأستشعر الحنان والعطف وقد فقدتهما منذ زمان .

وألقيتُ بنفسى فى حجرها ولكنى لم أحس بذراعيها تنفرجان لتضماني ولا بنفسها تستبشر للقائى ولا بقلبها ينبض لقدمى ؛ فرفعت بصرى إلى وجهها أحدّق فيه ، واستلبتنى الدهشة والحيرة من حياء الخائفة فأرسلت من بين شفتىّ صرخة مدوية وأجهشت للبكاء ثم رجعت إلى الوراء فى فزع ، ورجعت صوب الباب لأن هذه المرأة لم تكن أمى . وشعرت بأنى احتقر جدتى وأمقت المرأة التى زعموا أنها أمى .

وألفيتُ أبى لدى الباب فربّتَ على كتفى فى حنان وضمنى إليه فى عطف وقال : ما بالك ؟ قلت : مَن هى أن تكون هذه المرأة ؟ قال : هى أمك . قلت : لا . قال : ألا تعلم أن لك أمّين واحدة فى القاهرة وهذه هنا ! قلت : فما لى لم أرها من قبل ؟

وتلثم لسان أبي وماتت الكلمات بين شفتيه ، وبدا لي أن أبي كذّاب فشعرت بأنني أحتقره وأمقته .

آه ، لقد انطوى صدري على كراهية أبي وجدتي والمرأة التي زعموا أنها أمي .. كرهتهم جميعاً لأنهم كذبوا .. وأحسست بالأسى يتدفق عارماً إلى قلبي . وجرفني الحزن حين أيقنت بأنني فقدت أمي إلى الأبد .

وحين رأتني زوجة أبي قذى في عينيها اتخذتني هدفاً لنقمتها وثورتها وعشت في الدار ضائعاً لا أفوز إلا بفضلة مما يترك الخادم . حينذاك أرسلني أبي إلى المدرسة في المدينة ودفع بي إلى خادم يقوم على أمري فكان هو أبي وأمي وجلادي ، فهو أب لا يعرف الرحمة وأم لا تعرف الحنان وجلاد لا يعرف الشفقة . وعشت هناك أشعر بالغربة فأبي لا يزورني إلا لماماً إرضاء لزوجته ، وهو إن فعل لا يحبوني بعطفه ولا يهش للقائي ولا يتبسط معي في الحديث ولا يهتم بحاجاتي ولا يعنى بطلباتي ، ومرت الأيام وهو ينأى عني رويداً رويداً حتى أصبح غريباً عن نفسي وعن قلبي في وقت معاً . وأغص بالحرمان فالخادم ينعم وحده بمال أبي وأنا لا أنال قرشاً واحداً أشتري به بعض ما يشتري أترابي . وأشرق بالهانة فأنا أغدو إلى المدرسة وأروح في ثياب مضطربة قذرة مهلهلة على حين أن رفاقي يرفون في الجديد والنظيف . وأحس بالضعة فما أستطيع أن أدفع عن نفسي عبث زملائي وتهكمهم فأبي من قوة أن أفعل . وتمادى صحابي فامتدت أيديهم إلى وجهي ورأسي ، فطرت أنزع عنهم وأفر منهم وهم يجدّون في إثري لأكون لهم سخرية ولهواً . ولم تستطع نفسي أن تطمئن إلى هذا الوضع الوضيع وأنا عاجز اليد واللسان والقلب ، فذهبت أتلمس مهرباً فكنت أقضي أوقات الفسحة مختبئاً في (المراحيض) ثم أنفلت — آخر اليوم المدرسي — إلى بيتي أحمل همي بين جنبيّ فما أجد متنفساً إلا أن أشكو إلى هذا الخادم الفظ وهو لا يلقي بالاً إلى شكاتي إلا والعصا على ظهري ، وأبي بين عمله وشبابه في شغل .

وقضيت السنوات الأولى من عمري المدرسي أتواري عن زملائي خشية أن تنالني أيديهم وألسنتهم ، وأنطوي على نفسي في ركن من حجرة خيفة أن أعرض أسمال البالية على أعين الناس في الشارع ، فمشت في منأى عن الناس أطمئن إلى الوحدة وأرى فيها سلوان القلب وراحة النفس .

أفكنت أطمئن إلى هذا الوضع الوضيع في سهولة ويسر ؟.

ليت شعري ما ذا كان يضطرب في خاطري حين أخلو إلى نفسي وإن قلبي ليتضرّم غيظاً ويحتدم حقداً على أولئك الذين اتخذوني سخرية ولهواً ؟ .

وثارت في ثائرة الفرَم إلى الانتقام واشتد بي الهم إلى الثأر وشغلتني الخاطرة فملأت نفسي وسيطرت على أخيلتي ، وفي رأيي أن الناس يحترمون القوي ويتملقونه ويسخرون من الضعيف ويمتهنونه . وعزّ عليّ أن أعيش عمري في القلة والمسكنة فعزمت على أمر ..

ووجدت أقضي شطراً من يومي في أحد الأندية الرياضية ، وشطراً آخر بين أوراق ودرسي ، ومرت الأيام فإذا ساعدي قد اشتد وعضلي قد تكتل وإذا عقلي قد استوى واستقام .

وقويت نفسي حين رأيتني في الصدر قوة وعلماً ، فطردت خادمي بعد أن أذقته وبال أمره ، وانطلقت إلى أبي أطلب — في شدة وعنف — أن يرتب لي من المال ما يحفظ عليّ كرامتي وكبريائي فما تمهل ، وانطويت عن زوجة أبي وأنا أحدجها بنظرات فيها الاحتقار والبغض ، ووجدت اللذة والسعادة في أن أبطش بأترابي وأقاربي فاندفعت أذيقهم القلة وأسومهم الخسف لا تأخذني بهم رأفة ولا أستشعر نحوهم الرحمة .

وتخرجت في الجامعة لأفرغ إلى الانتقام وبي إليه قرم وأخلص إلى الأخذ بالثأر وبي نهم إليه . وسلكت إلى غايتي سبلاً شيطانية وأنا أعجب أن تسيطر عليّ روح الإجرام وأنا رجل علم وأدب . ولكن ، هل كان الشيطان إلا وعاء علم وأدب لبسته روح الإجرام ؟ .

ودعتني شيطانيتي إلى أفانين من الانتقام أحكم نسجها ، فانطلقت ...

اليوم أطفأت غلتي وأشفيت داء صدري ، بعد أن عذبت من سخروا مني طفلا وقتلت من قسوا عليّ صغيراً ، فهل تراني ندمت على أمر وأنا أشعر بأنني قد أديت رسالة قلبي ؟ .

ولكن عين العدالة لم تغفل عني فأنت ترى الآن النل في يدي والقيد في رجلي وسيف الجلاد ينتظرني بعد أيام .

قل لي — يا صاحبي — من عسى أن يكون الملوم ، من عسى أن يكون يا صاحبي ؟ .

فاضل محمود حبيب

حول الفكر العربي :

الغرض من دراسة الفكر العربي

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

— ١ —

في الوقت الحاضر تبذل الدول العربية قصارى جهدها لتحظى بمكانة دولية مهيبة تساعدها على نيل مآربها السياسية والاستقلالية إلا أن الوصول إلى مثل هذه الغاية يحول دونه عقبات ، من بينها عقبة ضعف الشخصية العربية وضآلتها ، ثم عقبة جهل العرب بمقوماتهم العقلية الممتازة .

ويرجع ضعف الشخصية العربية إلى تهاون العرب في التمسك بأخلاق القرآن ، وتفريطهم في إعطاء التعاليم الإسلامية صبغة عملية يظهر أثرها النافع في الحياة الخاصة والعامة ، بينما يعود جهل العرب بمقوماتهم العقلية الراقية إلى أن الشعوب العربية لم تكلف نفسها مشقة الكشف عن كنه ميولها الفكرية ، أو تهتم بشحذها حتى تنضج ، أو تستعين بكشف الباحثين التي تقدر أن تخوضها وتتفوق فيها ، حتى تستطيع أن تدخل غمار النضال العالمي مزودة بأسلحة أخلاقية سامية وواقعية في نفس الوقت ، وتتم عن شخصية قوية لها صفات مميزة ، ومعونة بمعدات عقلية تستعين بها في إثبات وجودها ككائن حي فعال في الحياة الدولية يختص بأداء عمل معين لا يضارعه فيه كائن آخر من الكائنات الدولية ؛ فيحقق ذلك كله للعرب ما تصبو إليه نفوسهم من رقي ، ويحتلون مكانة دولية تجبر المستعمر على احترام حقوقهم المسلوبة .

أما من ناحية ضعف الشخصية العربية فإنها لن تتقوى ما لم تمهد السبل لبث التعاليم الإسلامية في صورة حية واقعية ، تطلقها من سجن أروقة المساجد وحجرات الدراسة ، وتدفع بها في تيار الحياة اليومية الرحب المتنوع ، حتى لا يشعر أي فرد بوجود انفصال بين الدين والحياة ، ويحس بأن الدين من الحياة وأنه أنزل من السماء ليلبي أغراض الحياة سواء أكانت روحية أو مادية ، ولا يعترض سبيل تطورها ، أو يعوق تقدمها ؛ فإن انقطعت الصلة بين الدين والحياة كما هو الحال في البلاد العربية ، عُد ذلك تقصيراً من رجال الدين في البحث عن هذه الصلة . ولذلك يجب عليهم أن يوثقوا العرى بين تعاليم الدين الإسلامي وحياتنا الحاضرة ، وألا يحيطوا هذه التعاليم بهالة من السمو والرفعة بحيث تعلو عن حياة عامة الناس ، فيصعب عليهم التمثل بها ويظنون أنها تنطوي على قيم عليا لا يقدر أن يصل إليها إلا خاصة الخاصة ، مع أن الدين أراد أن يسلكها الجميع بدون تفرقة . فإذا اتصلت هذه التعاليم بحياة الناس المادية ، وطبقت على شتى ظروفهم الاجتماعية ، أدرك كل عربي جدوى التمسك بالدين الإسلامي ، ولمس فائدته الروحية والمادية معاً ، فيعتقد أن الدين قوة دينية كما هو طريق إلى الله .

إن غرض الفتوح العربية في صدر الإسلام كان نشر الدين الإسلامي خارج حدود بلاد العرب . ولقد استبسل الكثير من العرب ، واستشهدوا في سبيل الله ، ففازوا بالجنة من ناحية ، ونال أهله من ناحية أخرى قسطاً من الغنائم مثل بقية الجنود العائدين من الحروب .

فالقتال في سبيل الله وإن كان باعثه دينياً يخلد الشهيد في الجنة ، وهذه غنيمة روحية ، يضمن كذلك لعائلته من بعده العيش الرغد وهذه غنيمة مادية ، أحس كل عربي بمدى فائدة الاستشهاد من أجل نشر الإسلام من الناحيتين الروحية والمادية ، فأقبل على الجندية وخاض الوغى بشجاعة لا تقهر ، فاستطاع على قلة عدده وعدده أن يزيل من الوجود الدولة الفارسية ، ويزعزع أركان الدولة الرومانية .

وفي هذا الجو السماوي الأرضي عرف العرب قديماً كيف يثبتون دعائم الدين الإسلامي في النفوس . وفي هذا الجو كذلك يقدر العربي في الوقت الحاضر أن يقضي على ما تركته المدنية الغربية في نفسه من القلق الوجداني والاضطراب العقلي ، لانقياده المطلق لمغرياتها المادية ومفاتنها الحسية ، ولإهماله تهيئة الحياة الروحية التي تلائم مزاجه وتبعثه على طلب الكمال .

ولقد سبقنا الهنود في المضمار الديني الاجتماعي ، وأخذ المفكرون الهنود من أمثال راما كريشنا وفيفكانندا يستوحون

تراثهم الديني القديم ، ويعرضونه في أسلوب حديث يتفق وغايات الحضارة الحديثة بدون أن يخل بأصول الفكر الهندي الروحي . ثم جاء طاغور ووضع القواعد الثابتة للحياة الهندية الكاملة ، وأبرزها في صورة واضحة في كتابه « سادهانا » استقاها من تعاليم الكتب الهندية المقدسة ، ودعمها بروح الغرب العملية ، فأعطى المبادئ المثالية قيماً واقعية تنفع في الحياة . وبعد أن كان الهندي ينزع لاجتناب الحياة أصبح بفضل هؤلاء المفكرين لا يقدس الزاهد الهارب للحياة ، المنزل للأهل والوطن ، والفارق في نفسه ، والهارب من مشاكل الأرض ، وإنما يقدس الزعيم القوي الذي تمثل في شخصية غاندي ، ، ذلك البطل الوطني الذي دفع بمقومات الهند الروحية في ساحة النضال السياسي ، فنالت بلاده حريتها ، فعرف الهنود من مفكرين وسياسيين كيف يتفادون عيوبهم القديمة ، ويتغلبون على ميلهم إلى اعتزال الحياة ، ويبرزون قدرتهم على احتمال الألم في سبيل الغايات القومية بعد أن كانت قاصرة على الغايات الدينية الصرفة .

وها هو نهرو خليفة غاندي يقتفي أثره ، ويسير على هدى الطابع الهندي ، فما كاد يطمئن على استقلال بلاده ، ويضمن ود الباكستان ، حتى بادر بخوض مجال دولي حيوي أراد أن تساهم فيه بلاده في خدمة الإنسانية ، وتؤدي ما عليها من واجبات في سبيل رسالتها الروحية التي ترغب في أن تعم بلاد العالم أجمع . فدعا لعقد مؤتمر ينشد من طريقه ضم شمل الدول التي تعتنق المثل العليا والمبادئ المعنوية ، وتؤمن بقوتها في تدعيم السلام ، كما يبغي توحيد صفوفها لتتعاون على إنقاذ العالم مما هو فيه من تفكك وتنازع ، وذلك بالقضاء على النزعات الاستعمارية ، وبث روح المحبة والوئام في ربوع العالم .

وهكذا عرف نهرو كيف يختار المجال الوحيد الذي تقدر العبقرية الهندية أن تشترك فيه ، وتظهر براعة لا تفوقها براعة ، فنجح في استغلال استعدادات قومه الأصلية في إعلاء شأنهم ، ورفع مكانتهم بين الدول .

فأمام الغرب نموذج من الفكر الديني الخالق الذي استطاع أن يرفع عن كاهل بلاده كابوس الاستعمار بفضل تعاليم غاندي في المقاومة السلبية ، وأن يقتحم الميدان الدولي متخذاً من أساليبه الروحية وسيلة لتحقيق سلام العالم ، وهي غاية هندوكية قبل أن تكون غاية سياسية إنسانية ؛ فهيأ بذلك لمبادئه الدينية قوة إيجابية

أما كيف يعطي الفكر العربي تعاليمه الإسلامية قيمة عملية فعالة وناقعة في حياتنا الخاصة والعامة ، فذلك يكون بعد تطبيقها تطبيقاً جديا واسع النطاق يشمل المجتمع العربي بأكمله . فكل ما تأمر به التعاليم الإسلامية من تشريعات لا ينبغي أن نهمل ونستعاض عنها بغيرها من تشريع الغرب ، وبحجة أنها أكثر إنسانية . فنرفض قطع يد السارق وجلد الزاني ورجم الزانية ، فإن ذلك يضعف من قوة ديننا ، ويقلل من قدرته على مواجهة مشاكل الإنسان ، وذلك يورث في نفوسنا نوعاً من المهانة ، فنستكين للتشريعات الغير ، بينما يجب أن نتمسك بتشريعات الإسلام ، لا بدافع من نعرة دينية رجعية ، ولكن بدافع من المحافظة على روح الأمة العربية ، وصيانة كيان حياتهم الاجتماعية . وكل ما في القرآن الكريم والحديث الشريف من مثل عالية يجب أن تؤسس عليها الأخلاق العربية . وكل ما يتضمنه هذا الكلام المقدس من حكم يجب أن تقوم بها أهواءنا ورغباتنا ، حتى تصفو نفوسنا مما علق بها من شوائب المدنية الحاضرة ، وتعيش في كنف حياة روحية ترتاح إليها عقولنا العربية ، فتقدر أن تستوحيها ، وتنهج سبل التطور إلى أن تكيف التعاليم الإسلامية بظروف الحضارة المعاصرة بدون أن تفقد شيئاً من أصالتها .

فإخراج هذه التعاليم من منابر الجوامع إلى ساحة الحياة الاجتماعية يعد أمراً ضرورياً لنهضتنا الحضارية . إن غاندي عندما علم الهنود المقاومة السلبية قد أضاف إلى مبدأ عدم العنف الهندوكي من القوة ما ألهب مشاعر قومه الدينية ، وأوهب الانجليز وهز امبراطوريتهم ، فكان عمله هذا أعظم عمل ديني أداه هندي لوطنه . فنحن نريد أن نشعر بقوة مفعول تعاليمنا الدينية في أعمالنا وتصرفاتنا حتى يزداد إيماننا بها قوة ، ولا نفكر في أن نتخلى عنها ، ونبذل جهد الطاقة لكي نبثها في جميع صور الحياة الدنيوية ، فيكون ذلك باعثاً رفيعاً على طلب الرقي ، ودافعاً عظيماً إلى تشييد حضارة عربية تستمد مقوماتها من صلب التعاليم الإسلامية ، وتجاري المدنية الغربية في نفس الوقت .

عبد العزيز محمد الزكي
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأيوبية بكفر الزيات

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٦ —

قيس وأسد وتميم وكنانة:

أتيت في المقالات السابقة على ما كان لتميم من اختلاف مع القبائل الأخرى مشيراً إلى ما شاركها فيه غيرها من قيس وأسد وبعض قبائل نجد، وذلك مما كان له أثر في القراءات واللغة وقواعدها. والواقع أن ما سبق هو الكثرة الواضحة أما خلافات القبائل الأخرى فقليلة، وسأعرض لها تكملة للبحث وإتماماً للموضوع.

وقد راعيت أن أقدم فكرة عن موطن كل قبيلة أو بطن حتى يسهل على الباحث تتبع القبيلة والعوامل التي أثرت فيها، وكيف اشتركت مع غيرها في خصائص لغوية كان سببها الجوار

وأذكر مع ذلك أن هذه الأبحاث والتوفيق بينها وجمعها في وحدة مترابطة مما لم يسبق إليه إنسان ولا وجدت أحداً أعطاها حقها من العناية والاستقصاء ويرجع هذا إلى عسر الحصول على مكوناتها وعناصرها فإذا وجدت لمحات لقبيلة مبعثرة في كتب الأدب واللغة والنحو فلا تذكر لك ارتباطها بالقراءات. وإذا أتيحت نسبتها في كتب القراءات والتفسير، فلا تمر إلا عرضاً مبتورة ينقصها الترتيب. وفوق هذا فإن مساكن القبائل ومواطنها وديانتها لا يجمعها كتاب واحد من كتب الأدب والتاريخ. وذكر ديانات العرب وأصنامهم ومن كان يعبدها يسهل معرفة القبائل المتجاورة أما ذكر شخصياتها فمن باب التعريف بمن كان له من هذه القبائل نصيب من الشهرة والذيوع. ولعل في هذا كله بياناً لمن يحسب لأول وهلة أنه زيادة أو خروج عن الموضوع

قبيلة قيس:

تجمع هذه القبيلة عدداً كبيراً من القبائل والبطون ونسبها هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقد أصبح كثير من بطونها في عداد القبائل لكثرة ما شملته من أفراد فمن فروع قيس:

١ — غطفان: ومنها عبس وذبيان، ومن ذبيان فزارة الذين وقعت بينهم وبين عبس حروب كثيرة بسبب الفرسين: داحس والغبراء. ومن ذبيان أيضاً بنو مرة، ومنهم الحارث بن ظالم المري، أحد فتاك العرب المشهورين والذي يضرب به المثل فيقال أمنع من الحارث وقد كان السبب في بعض المعارك العربية التي تسمى أيام العرب.

ومن بني عبس عنترة الفارس الشاعر. ومن ذبيان النابغة الذبياني الشاعر. ومن غطفان أيضاً بنو أشجع. وكانت منازل غطفان بنجد مما يلي وادي القرى وجبل طيء أجا وسلمى إلا أشجع فقد كانت منازلهم حوالي المدينة. وقد اتخذت غطفان لها بيتاً للعبادة أرادوا أن يجعلوه حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه، واسم هذا البيت «بس» ووضعوا حجرين متباعدين وقالوا إنهما الصفا والمروة، واجتزءوا بذلك عن الحج إلى بيت الله الحرام، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه وعطل حرمهم وذلك في الجاهلية. وقد تفرقت غطفان في الفتوح الإسلامية.

٢ — بنو سليم بن منصور، وكانت بلادهم في عالية نجد قريباً من خيبر.

وكان بعض بني سليم سدنة «العزى» وفي عام الفتح بعث الرسول سيدنا خالد بن الوليد فأحرقها وقال:

يا «عز» كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ومن سليم الخنساء الشاعرة ونصر بن حجاج الذي كان بارع الجمال، فسمع سيدنا عمر بن الخطاب امرأة تنشد:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفاه بعيداً عن المدينة وقال لا يساكني رجل تتشبب به النساء

٣ — فهم وهم بنو فهم بن أعصر بن سعد بن قيس، وباهلة وهم بنو معن بن أعصر نسبوا إلى أمهم باهلة. وكانت فهم وباهلة يعبدون «العزى» وما كن فهم وباهلة متجاورة في نجد شرق الطائف، وبعض بني باهلة كانوا يسكنون إلى الجنوب الشرقي في الطريق بين مكة واليمن في موضع يسمى تبالة حيث كانوا سدنة لصنم اسمه «ذي الخلصة» وكانت تعظمه أيضاً وتهدي له خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن

ويحكى أن رجلا من العرب — وينسب ذلك إلى امرىء القيس — قد قتل أبوه فأراد الطلب بثأره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك فقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلى ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ومن باهلة الأصمعى الراوية المشهور .

٤ — بنو عدوان وفهم أبناء عمرو بن قيس وكانت منازل عدوان الطائف ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ، ومن عدوان عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب ، ومن حكمه :

من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به .

للكثرة الرعب ، وللصبر الطيبة . رُبَّ أكلة تمنع أكلات .

ومنهم ذو الأصبع العدوانى ، ومن شعره العذب :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب عنى ، ولا أنت ديانى فتخزونى
إنى لعمرك ما بابى بذى غلق عن الضيوف ولا خيرى بممنون
ولا لسانى على الأدنى بمنطلق بالفاحشات ، ولا أغضى على الهون
ما ذا على وإن كنتم ذوى رحمى أن لا أحبكمو إن لم تحبونى
كل امرىء صائر يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وكانت منازل فهم بنجد ومن فهم الشاعر المشهور الأعشى وتأبط شراً أحد الفتاك والعدائين المشهورين .

٥ — هوازن : وكانت ديارهم بنجد والعالية شرق المدينة ومكة إلى الطائف . ولهوازن فروع كثيرة مشهورة منها ثقيف الذين كانوا بالطائف وما حولها ، ومن ثقيف الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وأمية بن أبى الصلت الشاعر ، والحجاج بن يوسف الثقفى .

وكانت ثقيف تخص « اللات » بالزيارة والهدية وسدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها ، وفى ذلك يقول شداد بن عارض الجشمى حين هدمت وحرقت وينهى ثقيفاً عن العود إليها والغضب لها :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر
إن التى حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها ، هدر

إن الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن ، وليس بها من أهلها بشر

وكان لهوازن أيضاً صنم اسمه « جبار » .

ومن هوازن سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا بنجد شرق مكة ، وهم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمال فى قراءته « يحبى » وسئل فى ذلك : هذه لغة الأخوال بنى سعد .

ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة الذين منهم بنو نمير وبنو كلاب وبنو كعب ، وأولئك هم الذين عناهم جرير بقوله يهجو الراعى النميرى الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ومن كعب بنو عقيل رهط توبة بن الحمير وليلى الأخيلية الشاعرين العاشقين .

ومن بنى عامر أيضاً بنو هلال منهم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم بنو جشم الذين منهم دريد بن الصمة صاحب البيت المشهور المتمثل به :

نصحت لهم نصحى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وكانت مساكن نمير بنجد ثم انتقلوا فى الإسلام إلى العراق شمالا . وكانت كلاب وكعب بلادهم بنجد مما يلى تهامة ، وكانت كلاب أقرب إلى المدينة فى حمى ضرية والربذة وفدك ، ثم انتقل بنو كلاب فى الإسلام شمالى الشام حول حلب . وكان بنو هلال فى الجاهلية بنجد ، ثم ساروا فى الإسلام إلى مصر ثم إلى المغرب وكانت منازل جشم فى السروات قريباً من قبيلة هذيل .

قبيلة هذيل :

هم أبناء هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . كانت ديارهم بالسروات وسراتهم متصلة بجبل غزوان بالطائف ، وكانوا يعبدون من الأصنام « سواعاً » وسدنته منهم ، وفى ذلك يقول رجل من العرب فى القرشيين :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع

وقد افترقت هذيل فى الفتوح الإسلامية على الممالك . ومن هذيل أبو ذؤيب الشاعر صاحب المرثية المشهورة التى مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومنهم سيدنا عبد الله بن مسعود الصحابى المشهور ، ومن نسله المسعودى على بن الحسين المؤرخ

قبيلة أسد :

هم أبناء أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانت بلادهم بأرض نجد مجاورين لقبيلة طيء من جهة وقبائل قيس وتميم من جهات أخرى وهم الذين قتلوا والد امرىء القيس وقصة ذلك وما جرى بسببها مشهورة . وقد تفرقت أسد في الفتوح الإسلامية . وكان لجديلة من طيء صنم — وآلهة «النفس» لأنه كان لطيء ومن يليها — أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا بعده صنماً يسمى « اليعبوب » وفي ذلك يقول أحد الشعراء وهو عبيد ابن الأبرص :

فتبدلوا اليعبوب بعد إلههم صنماً فقروا يا جديل وأعذروا

ومن بني أسد أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله بعد طلاقها من زيد بن حارثة . ومنها عبيد بن الأبرص والكميت بن زيد الشاعران وطليحة بن خويلد الذي كان كاهناً ثم ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ثم عاد إلى الإسلام .

ومنهم زر بن حبيش الذي أخذ عنه كثير من القراء .

كنانة :

هم أبناء عبد مناة ومالك وملكان أبناء كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهم الذين يطلق عليهم كنانة حيث احتفظوا باسم أبيهم . أما أبناء النضر بن كنانة فهم الذين يطلق عليهم لقب قريش سواء كانوا قريش الظواهر أم قريش البطاح ، وهم سكان مكة وما حولها ، فإذا نسبت لهجة أو لغة لكنانة لم تشترك فيها قريش .

وساكن كنانة متفرقة ، ولكنها لا تبعد عن مكة كثيراً جداً ، ومن كنانة من كانوا شرقاً إلى الجنوب قريبين من القبائل اليمنية وهم بكر بن عبد مناة ، ومنهم من كانوا غربي مكة إلى الشمال قريباً من البحر الأحمر ، وكانت غفار من بكر بن عبد مناة تكاد تقرب من المدينة من غربيها .

وقد عبد جماعة من كنانة القمر ، وتهود منهم جماعة ولعلهم الذين قاربوا أهل اليمن ، وكان لبني مالك وملكان صنم اسمه « سعد » بساحل جدة ، ومما يحكى أن رجلاً من ملكان أقبل بإبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم ، فلما دنا منه ورآه وكان يهراق عليه الدماء تقرباً إليه ، نفرت منه الإبل ، فذهبت في كل وجه فغضب صاحبها فتناول حجراً فرماه وقال: لا بارك الله فيك إلهاً أنفرت علي إبلي .. ثم خرج في طلبها حتى جمعها ثم انصرف يقول:

أتيتا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعونني ولا أرشد

هذا ومن غفار من بني بكر بن عبد مناة أبو ذر الغفاري الصحابي المشهور ، ومنها كذلك عزة عبيرة كثير ، ومن الدئل من بني بكر بن عبد مناة أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه وضع النحو ، وكذلك منها سارية بن زنيم صاحب القصة المشهورة في سيرة سيدنا عمر حيث قال له وهو يبيد عنه يا سارية ابن زنيم الجبل .. ومن بني مالك بن كنانة نسأة الشهور في الجاهلية وكذلك منهم ربيعة بن مكدم أحد الفرسان في الجاهلية النابهين ...

(للبحث بقية)

عبد الستار أحمد فراج

حاشية :

(١) ذكرت في مقال سابق أن اسم الإشارة «هنى» لم يقع في القرآن الكريم ولكن تبين لي أن ابن عيصين قرأ بها : هنى الشجرة هنى القرية

(٢) جاءني خطاب من حضرة السيد علي عبد الحسين السلمان من العراق ينبهني إلى اتفاقي في تنوين العوض على ما كان مقوماً وحقيقة أن تنوين العوض منه ما هو عوض عن حرف وما هو عوض عن كلمة وما هو عوض عن جملة . لكن هذه أمور عامة في جميع القبائل ، ولم أرد إلا ما اختلفت فيه وهو تنوين الترنم ...

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة الامتحانات

قلم التعليم الثانوي الحر — إعلان

الطلبة الذين يدرسون مناهج التعليم الثانوي بمنازلهم والذين يريدون التقدم لامتحانات الانتقال في مرحلة الثقافة العامة يمكنهم أن يطلعوا على عدد الوقائع المصرية رقم (١٨) الصادر في ٧ فبراير سنة ١٩٤٩ والمدرج به أسماء المدارس الأميرية التي تقوم بامتحان طلبة المدارس الحرة وطلبة المنازل وذلك لاختيار المدرسة التي يرغب كل منهم الامتحان أمامها .

ويمكن لكل منهم كذلك الاطلاع على شروط دخول الامتحان والمواعيد المحددة لدفع رسومه وتقديم الطلبات وغير ذلك من المعلومات بالمدارس المشار إليها .

١٣٣١

طرائف من العصر المملوكي :

الروح القوميـــــة

للأستاذ محمود رزق سليم

الروح القومية عاطفة عامة ، وإحساس مشترك بين بني الوطن الواحد ، تشعرهم بأنهم مجموعة من الناس ، من الخير لهم أن يأتلفوا ويتحدوا ، ليكون لهم من وراء ذلك قوة يستطيعون بها أن يتغلبوا على صعاب الحياة وعقباتها ، في الداخل والخارج ، وتحدد لهم أهدافاً خاصة يرون فيها حفظاً لكرامتهم ، وإحقاقاً لحقهم ، وتغذية لنزعاتهم ، وإقراراً لآمالهم .

وتتركز حب هذه الأهداف في نفوسهم تركز العقيدة ، إيماناً بها وإيثاراً لها . لذلك يسعون جاهدين في سبيل بلوغها ، مضحين بكل مرتخص وغال ، من رأي ونفس ومال .

والروح القومية في الأمة مثلها مثل الكائن الحي ، يولد ويتغذى وينمو ويقوى ويعمل ويوجه . ولها عوامل لميلادها وغذائها ونموها وقوتها ، كما أن لها عوامل مضادة منافضة ، إذا هي صادفتها أضعفتها ، وكبتتها وأماتتها .

وعوامل نموها وقوتها كثيرة متعددة لا مجال لحصرها والحديث عنها الآن ، ولا لتوضيح أثرها ؛ ولكننا نذكر أن من بينها اتحاد أبناء الوطن في الوطن واتفاقهم في الجنس واللغة والدين وتجانسهم في الثقافة وتعرضهم لعوامل اقتصادية مشتركة أو لأخطار خارجية أو داخلية متشابهة ، وكذلك قيام أفذاذ الرجال من بينهم وقادة الفكر الذين يتزعمون نزعة وطنية خالصة من الشوائب ، فيوقظون وينبهون ويحمسون ويوجهون ، ويضرمون نار البعث والنشور ، حتى تفيق الأمة من سباتها ، وتتنبه من غفلتها ، وتعرف لنفسها كرامتها وحقها ، وتسعى لإدراك آمالها .

ومن عوامل إضعافها تتابع الغارات الخارجية ، وطول العهد بالاستعمار ، وضعف الثقافة واضطرابها ، وانتشار الأوباء واستبداد الولاة ، ونحو ذلك .

وبمقدار ما يتاح للأمة من عوامل القوة ، تذكو فيها الروح القومية ، وتنشط النزعات الوطنية ، ويقوى الرأي العام ، ويفرض مناهج الأمة في السياسة والإدارة والاقتصاد والتعليم والأوضاع الاجتماعية ، وغير ذلك .

وبعد فهل كانت بهذه البلاد المصرية العزيزة إبان العصر المملوكي روح قومية ونزعات وطنية ترمي إلى المحافظة على الكرامة العامة ، ورعاية الحقوق ؟ وإذا كانت هناك روح ، فما مظاهرها وما عوامل حياتها ؟ وإن لم تكن هناك روح ، فما الأدلة على ذلك ، وما الأسباب التي وجهتها الأقدار سهاماً إلى هذه الروح ، فقضت عليها ؟

الحديث في ذلك يطول ، لا يستوعبه مقال واحد ؛ إذ البحث فيه يتطلب النظر الطويل في التاريخ وفي النظم الإدارية والأحداث الاجتماعية ، وفي أنواع الثقافة وأصباغها ، وتتبع نزعات العامة ، وتلمس مصادفاتها التي تخرج فيها عن وقارها ، وعن حياتها الآلية العادية ، في تلك العصور الوسطى التي امتحنت فيها الأمة بطغيان سلاطينها واستبداد أمرائها وعبث جندها وتراخي كثير من علمائها عن إصلاح إدارتها .

لقد انضوت مصر تحت اللواء العربي ، واندمجت في نطاق الأمم العربية ، بعد الفتح العربي . ولا غضاضة على روحها القومية من هذا الانضواء والاندماج ، ما دامت قد رأت في الإسلام عدالة فياضة ، ومساواة كاملة ، وأخوة نقية ، وأنست في الحاكم الإسلامي رعاية عامة ونزاهة تامة ، وتسامحاً كريماً ، وحباً للخير .

ولكن جرت الأحداث في الدول الإسلامية ، بعدُ ، على غير ما يشتهي الإسلام ، فانساقت مصر إلى الانفصال والاستقلال وأخذت سمتها نحوهما ، واستردت روحها القومية حريتها في الظهور والعمل .

وبدأ ذلك بدءاً جميلا منذ العصر الطولوني ، وما زال حتى كان تمهيداً حسناً للعصرين الفاطمي والأيوبي اللذين استقلت فيهما مصر استقلالا كاملا أكثر من ثلاثة قرون ، وعزت جنودها باسمها في البلاد المجاورة وفرضت سيطرتها ، وحملت أعباءها كاملة إبان الحروب الصليبية .

فلما آلت سلطنة مصر إلى حكم المماليك وجدوا فيها أمة مستقلة عزيزة حاكمة انسمت رقعة مملكتها خارج حدودها ، وعنيت

ينشر ثقافتها عناية محمودة ، فوجدوا من هذا الأساس الوطيد لبناء مجيد .

وكنا نرجو لو أن المماليك نهجوا في سياستهم الداخلية منهجاً يرمي إلى إعزاز الشعب وإنهاضه ، والسمو بمستواه الروحي ، واتبعوا إزاءه هذا النهج الحميد الذي انتهجه والي مصر ومحييها الكبير محمد علي ، بعدهم بخمسة قرون .. إذاً لاستطاع الشعب المصري أن يغير وجه التاريخ ، وأن يفرض سيادته — على الأقل — على هذه الرقعة الواسعة من غرب آسيا أكثر مما فرض . ولتحققت لمصر على يدهم ، أحلام محمد علي ، التي صادفته عقبات لم يكن لها وجود في العصر المملوكي ، كانتهار الدول الأوربية به ، ووقوفها سداً منيعاً وحمية واحدة في سبيل توسعه . ولكن المماليك تجاهلوا الشعب وأنكروا مواهبه وتناسوا حقوقه ، وفرضوه بقرة حلوباً تدر لهم وهم ملاكها .

حقاً ! قد كونوا لأنفسهم جيشاً عظيماً كثيفاً مزوداً ، حفظوا به كيان دولتهم وفرضوا هيبتها ، ووسعوا رقعتها ، وحكموا به فيما حكموا البلاد الشامية والحلبية والحجازية ، حتى أصبحت سلطنتهم أقوى سلطنات المسلمين شرقاً وغرباً . وفي هذا ما فيه من إعزاز لمصر ، وتقوية لمستوياتها ، وتنشيط لروحها .

غير أنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وأشاعوا للروح القومية سهاماً قاتلة جديرة بالقضاء عليها ، قمينة بأن تورث في النفوس ضعف الثقة بكفاياتها ، والارتياب بمواهبها ، والشك في نياتها .

لقد كان منهم الجافي الطبع الكثير العسف ، المتتابع الجور السريع إلى تقرير الضرائب الفادحة ، العاجل إلى المصادرات الظالمة ، المبالغ في فرض الغرامات المالية والعقوبات .

حقا كان السلاطين والأمراء في طليعة ملوك الإسلام وأمرائه احتضاناً لشرعه ، وتشجيعاً للعاملين على نشر سننه ، واحتفاظاً ببلاده . ولقد احتضنوا الخلافة بعد زوالها من بغداد ، فجددوا لها شباباً ، وألقوا عليها ثياباً ، وأنشأوا لها نشأة آخر منذ عصر الظاهر بيبرس . وهي على علاتها قد جعلت القاهرة — فيما جعلها — رمزاً وعموراً تطيف به قلوب المسلمين .

ولكننا لا ننسى أنهم كانوا يبايعون أهل البلاد وعامة شعبها في الثقة والجنس ، ولم يحاولوا السير خطوة واحدة في سبيل محو هذه الفوارق الأصيلة الجوهرية ، التي من شأن بقائها وطول قيامها أن تصيب الروح القومية في الصميم ، وتعمل على عدم التكيان الوطني ، والفرقة بين عناصر الأمة .

بل لا نغلو إذا قلنا إنهم بكثير من تصرفاتهم ، وبألوان من فهمهم السقيم قد زادوا هذه الفرقة وعملوا على هذا الهدم .

ونقصر حديثنا هنا على ثلاثة عناصر ذات مساس مباشر بالنواحي المعنوية في النفوس ، مبعث الروح القومية الصحيحة ، وهي ملكية الأراضي الزراعية ، والجندية ، والتعليم .

أما ملكية الأراضي الزراعية فقد حرموها على أهل البلاد ، وقصروها على الطبقة الحاكمة ، وهي المكونة من السلطان وأمرائه وجنودهم ، ولعل لهم عذراً إذ وجدوا مثل هذا النظام الإقطاعي كان قائماً من قبلهم في عهد بني أيوب وغيرهم ، وقد قسموها على أنفسهم ، وانتهوا في تقسيمها أحد نظامين يسمى كل منهما « الروك » وهما الروك الحسامي نسبة إلى ملك مصر حسام الدين لاجين ، والروك الناصري نسبة إلى ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون .

والنظام الناصري هو الذي اتبع في أكثر أعوام العصر . ويتلخص في أن الأرض الزراعية تقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً .. للسلطان منها عشرة ، وللأمراء والجنود أربعة عشر . ويختلف عنه النظام الحسامي في نسبة الأنصبة .

ثم قسمت الأراضي إلى قطع ذات مساحات مختلفة ، كل منها يسمى إقطاعاً . يهب السلطان منها ما يشاء للأمراء والجنود في حدود النسبة المبينة المتفق عليها . والإقطاعات لا تورث بل ترد إلى السلطان بموت أصحابها . وكذلك يستردها السلطان إذا شاء لسبب من الأسباب ، أو يستبدل بها غيرها .

وصاحب الإقطاع يستغل أرضه وينتفع بثمراتها كما يشتهي وفق هواه ، مستعيناً بمن يسكن في الإقطاع من الزراع .

ونحن لا نريد هنا أن نفيض في وصف تلك النظم الشائنة . وإنما هنا أن نشعر القارئ الكريم بما كان يعانيه المواطن المصري ، وبخاصة الزراع ؛ فقد حرم عليه أن يملك أرضاً ولو فيها جده وأبوه ، وبناه وبنوه ، ووهب لها كل ما في قلبه من حب ،

وما في جسده من قوة . ثم هو لا ينتفع بشيء من غلاتها يتناسب وما يبذل في سبيله من جهد وكد وكفاح وعرق . فأية غضاضة ترين على نفسه وأية مرارة تفيض على فؤاده ، وأي ضعف ينتاب روحه ، وأي وهن يصيب معنويته حينما يشعر بما يعانيه من حرمان وقسوة وشظف عيش ... ؟

لقد عرف الزارع حينذاك بأنه « فلاح » . فقد قال المقريزي ما نصه : « ويسمى الزارع المقيم بالبلد « فلاحاً » قراراً ، فيصير عبداً رقيقاً لمن أقطع تلك الناحية ، إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق ، بل هو قن ما بقي ، ومن ولد له كذلك » .

وقد لبث الفلاح المصري محروماً ملكية أرض بلاده الزراعية والانتفاع الحر بثمراتها ، حتى صدرت لائحة الأراضي في عهد سعيد باشا ، فأباحت له الامتلاك والانتفاع ، لأول مرة .

أما الجندية والتعليم فقد سبق لنا أن أشرنا إليهما في بعض هذه المقالات . ولقد كان بالبلاد نوعان من التعليم : عسكري وشعبي . أما التعليم العسكري فقد كان مقصوراً على طائفة المماليك دون سواها لكي تتكون منها جنود الدولة والطبقة الحاكمة من أمراء وسلطان . وكان المدد التقليدي لها ، المماليك الجدد الطارئين على البلاد أرقاء من الأسواق الخارجية . ولا يسمح لأي فرد من أفراد الشعب بالانتظام في سلك الجندية ، ولا أن يتعلم في طباقها . كأن المهارة العسكرية وقف على طائفة المماليك دون سواهم ، وموهبة خاصة خلقتها العناية فيهم .. وفي هذا ما فيه من إضعاف للروح القومية ، وقتل للثقة بالنفس ، فكنت ترى الشعب وكأنما استقر في أفئدة أبنائه أنهم لا يصلحون لحرب أو ضرب ، وأنهم غير أكفاء للدفاع عن أنفسهم ووطنهم .

غير أن من الإنصاف أن نذكر أن الوطني المصري الصميم لم ينعم بالانتظام في سلك الجندية ببلاده منذ زمن بعيد جداً ، قد يصل إلى ما قبل العهد الروماني ، ولم يرد إليه هذا الحق الطبيعي إلا منذ النهضة الحديثة في عهد محمد علي .

أما التعليم الشعبي فكان في جماع أمره دينياً ومكانه المساجد وما شابهها من دور التعليم . وقد أغدق عليه السلاطين إغداقاً محموداً ، وعنوا به عناية مذكورة مشكورة ، وكذلك فعل الأمراء والرؤساء .

وقد وجد الشعب في هذا الضرب من الثقافة شيئاً يعوضه ما حرمه من التعليم العسكري ، فكان فيه متنفس لمواهب أبنائه . ومن حسن الحظ أن طائفة المماليك لم تشارك الشعب في الأخذ من هذه الثقافة بنصيب إلا لماماً لماماً — وقد يكون هذا من سوء الحظ كذلك — فاتسع نطاق العمل أمام أبنائه الذين يتخرجون في هذا التعليم الشعبي الديني ، ومعلوم المتعممين ، ووكلت إليهم مناصب القضاء الشرعي ، والكتابة ، وما إليهما من الأعمال .

وأهم ما يشوب هذا الضرب التعليمي أنه كان يقدم إلى الشعب صدقة عليه وإحساناً ، لا على أنه حقه يؤدى إليه .

ومهما يكن من شيء ، فاختلاف الثقافة هذا الاختلاف الصارخ بين العنصرين ، وحرمان الشعب من التعليم العسكري — فضلاً عن الاختلاف في اللغة والجنس — كان له أثره في شعب هذه الأمة والتفريق بين طوائفها ، وخلق جو من الشقاق والحقد والشك بينها .

وهذه العوامل كلها من دأبها أن تشيع الغربة بين طبقات الشعب ، وأن تسلط بعضها على بعض ، فيستأثر البعض بالنعيم والسلطان ، ويبوء الآخر بالفقر والحرمان . ولا يتحقق بينهم معنى التعاون الصحيح الناشئ عن الشعور العميق بالواجب ومقتضياته . ولهذا يروى ابن إياس أن الشعب امتنع عن دفع الضرائب للأشرف طومان باي سلطان مصر حين الفتح العثماني مع حاجة هذا السلطان الشديدة إلى الضرائب المذكورة . وكانت حجة الممتنعين أنهم لا يدرون حينذاك لمن البلاد ؟ أللمماليك هي أم للعثمانيين الغازين ؟ فهم ينتظرون ريثما ينجلي القتال ويُعرف ولي أمر البلاد الشرعي ، فتؤدى إليه الضرائب ...

على أن جميع العوامل التي انتابت الأمة المصرية في ذلك العصر ، لو انتابت أمة غيرها لقضت عليها القضاء الأخير ، وشتتت شمل بنيها ، وفرقتهم أيدي سبأ ، ولكن الزمان معجزة إذا هم بجمع شملها ولم شعثها مرة أخرى .

في بقاء هذه الأمة ، وفي حرصها على القيود من كرامتها ، والدفاع عن حقها ، والسعي لإدراك أملها ، ما يدل دلالة واضحة على مذخورها العظيم من القوى الروحية والمقومات المعنوية .

وقد بدت منها هذه الروح فى عصر المماليك فى مناسبات كثيرة ومظاهر جمة . وأبرز تلك المظاهر هذه المكانة التى تبوأها علماء الدين وفقهاء الشريعة ، فقد كانوا من صميم الشعب ونشأته وآلت إليهم — كما نوهنا — مناصب القضاء والكتابة والتدريس والفتوى ورعاية الوقف وأموال اليتامى وما إلى ذلك ، فأصابوا حظاً وفيراً من الفقه والعلم والدين والمال جميعاً ، أنبت فى نفوسهم عزة ومنعة ، وفى أنفسهم أنفة وإباء ، فكان كثير منهم يتأبى إلا على الحق ، ويترفع إلا عن العدالة . وكانوا بطبيعة نشأتهم ، وبطبيعة عملهم الرسمي وغير الرسمي ، ألصق بالشعب وأدنى صلة به وأكرم هيمنة عليه ، وأقدر على التأثير فيه . ولهذا خشيهم السلاطين وتملقوهم لكي يدرءوا عن أنفسهم منبة سخطهم ، ورحبوا بالوافدين منهم من الأمصار الإسلامية ، الفارين من وجه الطغاة والغزاة ببلادهم . وأخذوا يستشيرون النابهين منهم فى كثير من أمور الدولة ، وبخاصة إبان الأزمات .

ومنهم عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء ، كان ذا مهابة وجلال ، توقف عن مبايعة الظاهر بيبرس بالسلطنة ، فعطلت المبايعة حتى ثبت له حقه . ومنهم أمين الدين يحيى الأقصرائى الذى كف يد قايتباى — على قوته وجبروته — عن المساس بمال الوقف ، وقد أراد الاستيلاء على شيء منه للانفاق على حروبه ، ولهذه الحادثة أشباه .

على أن العلماء أنفسهم كانوا لا ينون يبذلون البذل الشديد والجهد الجهيد فى نشر الدين القويم بين الناس ، وبث الشريعة السمحة ، والدعوة إلى العمل بها واتباعها ، وتمييز الحلال من الحرام ، فقعدوا للتدريس العام فى المساجد ، وتصدوا للفتوى العامة ، يقصدهم من أجلها القصاد ، ويراسلهم بها المرسلون من لجاج العالم الإسلامى ، فنهضوا بهذا العبء أفضل نهوض ، وجرى الجدل بين بعضهم والبعض بسبب هذه الفتاوى والمسائل . والعامة تترقب نتيجة الجدل وعاقبة النقاش ، وتتعصب للبعض على البعض ، وتتحيز لفريق دون فريق ، فكان من وراء ذلك حركة ذهنية فكرية لا بأس بها ذات مساس بالعقيدة ، ووجد الناس فيها عوضاً عن هذا الكبت السياسى ، وبديلا من هذا الحرمان العسكرى ، ومتنفساً عن هذا الاختناق .

ومن المظاهر الحية لتلك الحياة الفكرية المحاكمات التى جرت على بعض العلماء المجتهدين — كابن تيمية الحرانى وتلميذه ابن القيم — بسبب بعض آرائهما وأدى ذلك إلى سجنهما . واشترك فى الجدال عدد جم من أفاضل علماء العصر ، وألفت فى موضوعاته شتى الرسائل والمؤلفات .

وفى عهد الأشرف قايتباى قامت فتنة كبرى بين الدماء وتابعهم فيها العامة ، واشترك فى لجتها العلماء . وكانت بسبب الشاعر الصوفى عمر بن الفارض — أحد شعراء العصر الأيوبى — وما ساقه من ألفاظ وعبارات فى تائيته الشهورة ، مما رمز به إلى الذات الإلهية . فكفّره بعضهم ونسبه إلى الحلول ، واعتذر له البعض بضيق اللغة عن أداء معانيه النفسية ، وكانت ضجة كبرى ظلت زمناً ، وألفت فيها الرسائل والمقالات والبحوث والأشعار ، وأوذى بسببها بعض العلماء ، حتى حسمها السلطان بفتوى كتبها شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، وكانت فى صالح ابن الفارض .

وإذا علمنا أن الدول الإسلامية فى تلك العصور كانت تقوم على أساس من الدين متين — والدين أهم دعائمها — تبين لنا خطر مثل هذه الفتن والمشكلات ، وفهمنا أنه تمت بصلة ما إلى سياسة الدولة وعقلية الجماهير ومشاعرهم .

من هذه الحوادث وأشباهها نستدل على أن روح المعارضة والإقدام على النقد كانا على ضرب من الحياة محمود ، والنقد والمعارضة الصالحة بعض مظاهر الروح القومية ومقومات الرأى العام

وقد سبق لنا فى إحدى هذه المقالات أن تحدثنا عن النقد الاجتماعى وبينا كيف تناول كثير من الأدباء والشعراء الحياة الاجتماعية بالنقد المر السافر ، فنقدوا الأسرة ونظامها وعلاقات أفرادها بعضهم بالبعض ، والنظام الإدارى وما فيه من فوضى واضطراب وقلق وسرقات وادعاءات ورشوة ومحاباة وظلم ، وما بين طوائف الأمة المختلفة جنساً ولغة ودينا من أحقاد وإحن . وقد مزج بعض الشعراء نقده اللاذع بالتورية والفكاهة والدعابة فخرج مخرجاً كيساً مقبولا .

والحق أن الشعب المصرى كان — على علاته — ذا إحساس سياسى ناقد مجيب ، شارك به فى حادثات بلاده على اختلاف

القوة الحربية لمصر والشام
في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٤ —

وتنوعت سفن الأسطول ، فكان منها الشواني Gyaferes وهي أكبر السفن الحربية في مصر وأكثرها استعمالا ، وكانت أهم القطع التي يتألف منها الأسطول ، وهي سفن حربية كبيرة تتخذ بها الأبراج العظيمة والقلاع ، وتزود بالعدد الحربية ، وتجهز بالأسلحة والنفطية لتستعمل في الهجوم على الأعداء والدفاع عن نفسها إذا هاجمها العدو ، وبها اللجام وهو حديدة طويلة محدودة الرأس تقذف به سفن العدو لتخرقها . وبها أيضاً كلاليب وهي خطاطيف كبار من الحديد تطرح عليها فتوقفها (١) . ومنها الجلاسات Gyalasses مفردها جلاسة وهي نوع من السفن الحربية الكبيرة تسير بالشراع والمجاذيف وهي أثقل وأقوى من الشيني . والبطسات وهي من أكبر سفن الأسطول . وكذلك السلنديات وهي مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل القاتلة والسلاح وتعادل في أهميتها الشونة والحراقة . والبطسات وهي من أشهر أنواع السفن في أيام الحروب الصليبية ، قد يكون لها أربعون قلماً (١) كانوا يشحنونها وقت الحرب بالآلات والأقوات والميرة والرجال والقاتلة والأسلحة وآلات الحصار وكانت تحمل آلاف الجند ، ولها أسطح عالية ، وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش . والغربان ولا يبعد أن يكون اسمها مأخوذاً من اسم الغراب لأن مقدمتها على شكل رأسه (٢) ، وهي تحمل النزاة وسيرها بالقلع والمجاذيف منها ما له مائة وثمانون مجذافا . والشارات وتجر بعشرين مجذافا ، ولعلها كانت خاصة بالرؤساء ، كما يفهم من وصف عبد اللطيف البغدادي لها . والقوارب ناقمة لنزاة المسلمين وقت الحرب في البحر ، يكون في كل قارب أربعة أو خمسة من الرماة يميزون غربان المسلمين على قتال غربان الفرنج

(١) نظم الحكم بمصر ص ١٨٢ .

(١) النوادر لابن شداد ص ١٤٩ .

(٢) خطط المقريزي حـ ٣ ص ٣٢ — ٤٤ .

ألوانها . يبدو لنا ذلك مما يقحمه بعض المؤرخين — كابن إياس — من العبارات في ثنايا رواياتهم التاريخية كقولهم في سياق حادثة ما: و « كثر القيل والقال » و « أرجف الناس » و « فاشيع بين الناس » و « ضج الناس له بالدعاء » إلى نحو ذلك من العبارات . وأذكر أن ابن إياس قال في إحدى عباراته ما مؤداه : « إن أهل القاهرة ماتطاق ألسنتهم ، وبل لامرىء تقع عيونهم منه على مذمة »

هذه العبارات وأشباهها تشعرنا بوجود ذلك الإحساس الذي أشرنا إليه ، وإن كانت ساذجة غامضة . غير أن هذا الإحساس لم تتح له حرية كافية للظهور والعمل خوفاً من المستبدين الطغاة ، ولم ينضج نضوجاً كافياً يسمو به إلى تكوين رأي عام له أثر في سياسة الدولة وإدارتها .

على أن التاريخ يحدثنا أن الشعب كثيراً ما نهض إلى معونة حكامه في حروبهم الخارجية ، وقدم إليهم ما طلبوا من الدواب والنفال والمال ، ولم يتأب كثيراً على الضرائب التي يفرضونها عليه ، ولكنه كان يتأبى عليها ويقاومها إذا كانت فادحة ظالمة . ومثال ذلك ما حدث في عهد الأشرف النوري ، فقد فرض ضريبة جائرة ضج لها الناس وثاروا في وجه نائب سلطنته وغيره من الأمراء ، وعرضوا لهم في الطريق ورجموهم بالحجارة ، فأعمل المماليك فيهم السيف وقتلوا منهم وأثخنوا فيهم .

والذي نحب أن نخلص إليه — مما سبق أن نوهنا به — وهو أن هذا الشعب المصري الكريم — على علاته — تكمن فيه روح قومية فطرية نزعة سليمة تحتاج إلى مايظهرها ويحسن توجيهها ويسير بها في الطريق السوي بما يعود بالنفع والعزة لهذا الوطن الكريم .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

وقراقيرها[١] . والبركوشات وهى مراكب صغار .

ومنها الحراقات وهى نوع من السفن الحربية كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية ، وكان بها مرام ومنجنيقات تاق منها النيران على العدو[٢] ، وكان فى مصر نوع آخر من الحراقات فى النيل استخدم لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية[٣] .

والحالات وهى مراكب حربية تحمل الأزواد للرجال ، وآلات الحرب والحمار من الأخشاب الكبار والدبابات وأبراج الزحف وغير ذلك ، ويكون فيها غلمان الخياطة وصناع المراكب ؛ والقراقير ، ولا تقف إلا فى المكان الغزير الماء لأنها سفن عظيمة تحمل الزاد والكراع والمتاع للأسطول ؛ والطرائد وهى سفن صغيرة سريعة الجرى كانت تستعمل غالباً لحمل الخيل وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً .

والشيطى ووظيفته الكشف والاستطلاع .

وعنى الخلفاء والسلاطين بتوفير الخشب للأسطول فكانوا يعينون له الحراج ومنها ما هو بالوجه القبلى فى البهنسا وسفط والأشمونين وأسيوط وإخميم وقوص وغيرها[٣م] ، والحراج أشجار من سنط لا تحصى كثرة فى أرجاء المملكة ، ويأمرون بحفظها ، وألا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه[٤] ، وأحياناً تصنع من خشب الجميز ، وهو الخشب الذى جهز به الظاهر بيبرس شوانيه بدل ما تحطم له عند قبرص[٥] ، وحيناً يستخدم له شجر الأثل والنبق والسرو ، وكثيراً ما كانت الأخشاب تجلب من بلدان أوربا الجنوبية على أيدى البنادقة[٦] .

وكان لصناعة الأسطول ثلاثة أماكن بمصر هى جزيرة الروضة ودمياط والإسكندرية[١] ، وموانيه التى كان يرابط بها هى دمياط والإسكندرية وعيذاب على شاطئ البحر الأحمر[٢] ، وعسقلان وعكا وصور وغيرها من سواحل الشام قبل أن يغلب الفرنج عليها[٣] .

والظاهر أن جند الأسطول فى العصر الفاطمى كان مكوناً من المغاربة لمعرفتهم بصناعة البحر[٤] ، وفى عهد صلاح الدين استخدم جنوداً مغربية كذلك وجنداً من المصريين الأتوياء الأشداء[٥] ، وظل المصريون هم المورد الأساسى للأسطول حتى بعد انتقال السلطان إلى المماليك ، فإنا نجد بيبرس يجهز أسطولا لغزو قبرص ، فيه الرئيس ناصر الدين عمر بن منصور رئيس مصر ، وشهاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام رئيس الإسكندرية ، وشرف الدين علوى بن أبى المجد بن علوى السقلانى رئيس دمياط ، وجمال الدين مكى بن حسون مقدماً على الجميع[٦] ، فلما جاء خليل بن قلاوون رتب بالأسطول عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح[٧] وإن كان الجند المصرى له الغلبة أيضاً ، وكذلك جند المماليك فى الأسطول فى عهد الناصر محمد بن قلاوون[٨] .

وكانت التعبئة البحرية تشبه أختها البرية أحياناً ، فقد يصنع أمير البحر من سفنه قلباً وجناحين ومقدمة وساقة وقد يصنع مراكبه على شكل نصف دائرة حتى إذا حاول العدو الاقتراب منها أحاطت به ، وقد يقابل أمير البحر عدوه بمراكبه صفوفاً مستقيمة فتقطع مراكبه مراكب العدو بالنجام قريباً من مؤخرها لتغرقها ، أو يشغل أمير البحر مراكب خصمه ببعض المراكب ثم ينقض عليه مرة واحدة من ورائه وهكذا[٩] .

(يتبع)

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) تاريخ الممالك البحرية لعلى ابراهيم حسن .
(٢) عجائب المخلوقات .
(٣) كما يفهم من كلام المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥ .
(٣م) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .
(٤) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٠٠ .
(٦) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .
(١) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٢٨٩ و ٣١٥ .
(٢) ابن بول ص ١٠٥ .
(٣) صبح الأعشى حـ ٣ ص ٥١٩ .
(٤) خطط المقريزى حـ ص .
(٥) الحروب الصليبية للعريني ص ١٨٧ .
(٦) النجوم الزاهرة حـ ٧ ص ١٥٤ .
(٧) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٦ .
(٨) المرجع السابق ص ٣١٧ .
(٩) نظم الحكم بمصر ص ١٨٤ .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

كاتب لا يعرف قدر نفسه :

سلامة موسى هو الكاتب الذى أعنيه ... ولو كان يعرف قدر نفسه لما تهجم على أستاذين يعرف قدرهما المثقفون لا أنصاف المثقفين من قرائه والمعجبين به ! .

لقد كتب حضرته كلمة فى العدد (١٨٨) من مجلة المسامرات عن الشاعر الألمانى جيته تحت عنوان « مثل الأعلى » ... ومن حسن حظ الشاعر الخالد أنه ودع الحياة قبل أن يعلم أنه مثل أعلى لسلامة موسى ، وقبل أن يقرأ كلمة يستطيع أن يكتبها عنه بعض الناشئين من طلبة المدارس الثانوية ! .

لا يهمنى أن أنقل للقراء ما كتب هذا الرجل فى مجال الحديث عن جيته ، لأن صفحات « الرسالة » تضيق بهذا الطراز من المعلومات التى يعرفها صغار الطلاب ... ولكن يهمنى أن أنقل إليهم هذه الفقرات التى تكشف عن مركب النقص فى الشخصية الأدبية :

« وقد ترجم من كتب جيته إلى العربية كتابان الأول آلام فرتر الذى ترجمه و « ألفه » الأستاذ أحمد حسن الزيات ، والثانى فاوست الذى ترجمه الدكتور محمد عوض محمد ... وكلتا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلى لقصتى الشاعر الألمانى ، وعلى من يريد الوصول إليه أن يرجع إليهما فى الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية » ! .

هذه كلمات رجل يتقلب على جمرات محرقة من مركب النقص ، ومركب النقص فى حياة سلامة موسى أنه تناول قلمه ليكتب منذ ربع قرن ، ومع ذلك فهو ينظر فيجد نفسه فى مؤخرة الصفوف ... من هنا ينبع حقده الدفين على هؤلاء الذين ارتقوا سلم المجد الأدبى فى وثبات وخلفوه على الأرض ! .

ترجمة الزيات عن الأصل الفرنسى لا تعجب سلامة موسى ، وترجمة عوض محمد عن النص الألمانى لا ترضى سلامة موسى ... وعلى الذين يريدون الوصول إلى الروح الأصلى أن يرجعوا إلى سلامة موسى وقلمه ، قلمه الذى يذكرنى بأقلام المترجمين فى روايات الجيب ! .

مركب النقص ولا شىء غير مركب النقص ... ولن يغير هذا المركب البغيض شيئاً من هذه الحقيقة المؤلمة التى يحس لدغها الرجل ، وهى أنه يوم تؤرخ هذه الفترة من أدبنا العربى المعاصر فلن يذكر فيها اسمه إلا فى مجال التسجيل الإحصائى ! .

إن الثقافة المهوشة والمعلومات المبعثرة لا يمكن أن تحتل مكانها فى تاريخ الأدب ، إلا إذا قدر لتاريخ الأدب أن يكتبه المعجبون بقلم الأستاذ سلامة من قراء « النداء » !! .

كراتشكو سرقة أخرى :

إنك تذكره بلا ريب .. هذا الموظف الروسى الكبير صاحب « آثرت الحرية » . ولقد حدثتك فى عدد مضى من « الرسالة » عن الكتاب وصاحبه ، وعن تلك الضجة التى أثارتها حوله مجلة « لى ايتر فرانسيز » ، وهى الضجة التى شغلت الرأى العام الفرنسى قبل أن تأخذ طريقها إلى القضاء ، وشغلت الرأى العام فى العالم بعد أن دفع بها كراتشكو إلى أيدى العدالة مطالباً بحماية خصومه طبقاً لنصوص القانون ! .

يقول خصوم المؤلف الروسى إنه كذاب يبرأ منه كتابه بكل ما حوى من تضليل وخداع ... ويقول كراتشكو إن لديه الدليل على صحة كل رأى سجله ، وكل قصة أتى بها ، وكل حادث أورده واستند إليه . والرأى العام بعد ذلك موزع الفكر بين مزاعم ومزاعم ، وبين وثائق ووثائق ، وبين شهود وشهود ، يترقب اليوم الذى يقول فيه القضاء كلمته ... وإنها لكلمة تقرر مصير الكتاب ومستقبل صاحبه ، وتحدد مكان الخصوم وسمعة الصحيفة الفرنسية .

كراتشكو فى رأى خصومه كبير محتال وجاهل وكذاب وخائن . ولكن تجريحهم لشخصيته يستند أول ما يستند إلى تلك التهمة الكبرى من دعائم الاتهام وهى الكذب . أنهم يسلكون شتى الطرق بنية الوصول إلى هذا الهدف الذى تتحطم

على صخوره كل حقيقة من حقائق « آثرت الحرية » ، وهو أن كرافتشنكو كذاب بالطبع والسليقة .

في هذه الدائرة يحصر القائمون على أمر المجلة الفرنسية جهودهم ، ويستمدون أدلتهم من واقع الكتاب وواقع الحياة . أما واقع الكتاب فقد قدمت إليك منه ثلاثة نماذج لثلاثة أسئلة وجهها الخصوم إلى صاحب « آثرت الحرية » عن بعض ماعرض له من وقائع هي في رأيهم أوهام وأباطيل . وأما واقع الحياة فقد خطر لهم أن يواجهوا كرافتشنكو بزوجته السابقة لتدلي برأيها فيمن كان أقرب الناس إليها ، تلك التي كانت في يوم من الأيام أقربهم إليه ... ومرة أخرى يقف كرافتشنكو في مهب العاصفة!

إن الزوجة السابقة تقف اليوم في ساحة القضاء لتتهم زوجها بالكذب وسوء الخلق وانحراف الطبع ، وإنها لتنتزع الأدلة على صدق قولها من أعماق الذكريات ، ومن واقع تلك الفترة التي جمعت بينهما تحت سقف واحد ثم دفعت بكل منهما إلى طريق ... ولقد كان زواجها منه جحيما لا يطاق ، خرجت منه بطفل تدعو الله ألا يرث شيئاً من أخلاق أبيه !

وهنا يقف كرافتشنكو ليزأر كحيوان جريح : إن هذا الذي تنطق به بعض افتراء دنيء وادعاء باطل ... أليس عجيباً ألا أسمع إلا في هذه اللحظة بأنني أب لطفل لا أعلم شيئاً من أمره ولا متى ولد ؟! إن الملقن الحقيقي لهذه الشهادة الملفقة هو الجستابو الروسي ولقد بعث بها من موسكو إلى هنا لتشهد ضدي ... هذه السيدة المحترمة التي لقي أبوها حتفه في معاهل سيبيريا تحت وطأة التشريد والتعذيب !

وتنهض الشاهدة مرة أخرى لتصرخ في وجهه : إنك أكبر كذاب يا كرافتشنكو .. لقد طلبت إليك يوماً أن تساعدني على تربية طفلك فضننت عليه بعطفك دون أبوتك ، أما أبي فقد مات على فراشه في موسكو ولم يمت كما زعمت في معاهل سيبيريا ! وإنك بعد ذلك لفي الطليعة من صفوف الخونة .. لقد أنكرت بنوتك لوطنك بالأمس في « آثرت الحرية » وأنكرت أبوتك لولدك اليوم في ساحة القضاء !

هذه هي المفاجأة الثانية من مفاجآت القضية الشيقة التي يترقب الناس نهايتها بشغف بالغ واهتمام كبير .. وفي انتظار كلمة القضاء نستطيع أن نؤكد حقيقة ليس إلى إنكارها من سبيل ، وهي أنه لو قدر لكرافتشنكو أن ينتصر على خصومه لكان انتصاره لطمة قاسية للشيوعية الروسية والفرنسية ! ترى من سيخرج من هذا النضال مرفوع الرأس ! سؤال تجد الجواب عنه في الغد القريب .

رسالة من أديب ثائر :

سيدي الأستاذ أنور ،

هذه الرسالة لك وحدك لا للبريد الأدبي .. كيما أضمن الحرية لقلمي .

بلى يا سيدي ، هأنذا وقد رجعت إلى عدد « الرسالة » الماضي كما أشرت أراني قد حرت وفي خيلتي ما أعجز من أن أصوره ببراعي . لقد نقلت لنا في تعقيبك على كلمة الأستاذ الصيدي في مسرحية « الملك أوديب » بأنه إنما بنى انتقاده للمسرحية على أنها من الأساطير ، فعي من الاعيب كهان جهلة — كما زعمت مما جعلك تسترسل في تذفيك له بذلك التهكم اللاذع ، حين رميته بسذاجة النظرة الخ .. وياليت الأمر قد وقف بك عند هذا الحد ، ولكنك قد اجترحت ما لا تغفره لك لغة قومك ولغتك التي نسبت إليها النقص ! وإني أحيلك يا من تعرف غير لغتك إلى البحث عن أصول فن المسرحية والمبتغى منه ... ثم لتراجع المسرحية مرة أخرى وترجع بعد ذلك إلى رأي الأستاذ الصيدي مدققاً النظر : هل ما أراد هو ما أردت ، أم أنه رأى فيما أورده « سوفوكليس » من حوادث مضطربة في مسرحيته بعداً عن الغرض الذي سيقت له ؟ وهل بلغت أوج الكمال الفني أم أنها بحق الاعيب كهان جهلة ... ؟

وكأين من عجلة تجر صاحبها إلى حيث تقطع رجاءه من الطرق على أبواب الندم .

وإلى الأستاذ أطيب تحياتي .

الثائر

محمد الهادي عطية

هل تستطيع أن تخرج بشيء من هذه الرسالة الرائعة ؟ إنها امتحان عسير لقدرتك على الفهم ، وتجربة طريفة لاختبار مقاييس الذكاء . أما أنا فقد رسبت في الامتحان وأملي ذلك على رءوس الأشهاد ! لماذا نشرتها إذن وقد بعث بها صاحبها إليّ وحدي ؟ لقد نشرتها لسبب واحد ، هو أن أطمئن حضرة الثائر على أن

أعصابي تحتمل في كل يوم كثيراً من اللغو الذي يضيع معه الوقت والفائدة ، ولأطمئنه أيضاً على أني كما أبيح الحرية لقلمي أبيحها لأقلام الناس ، ولو بلغوا من النبوغ هذه المرتبة العالية التي بلغها السيد عطية !

لقد خشي الأديب الثائر — وأنى له أن يترفق بأعصابه حرصاً على صحته الغالية — خشي أن يبعث بكلمته إلى « الرسالة » فلا تحظى بعطف « البريد الأدبي » ، ومن هنا بعث بها إليّ كي يضمن الحرية لقلمه !

ترى هل اطمأن على أن كلامه القيم قد اطلع عليه القراء ؟ هذا هو الأمر الوحيد الذي تتطلع بسببه راحتاي من الطرق على أبواب الندم !

عجائب الترجمة في العصر الحديث :

تسمع في العصر الحديث عن عجائب المخلوقات فهل سمعت عن عجائب الترجمة ؟

هذا موضوع طريف أعددته للنشر والتعقيب ، ولكن الأستاذ الجليل صاحب الرسالة قد سبقني إلى الإشارة إليه في ثنايا كلمته التي طالعها القراء في الأسبوع الماضي حيث قال : « يتهم الحادث اليوم بمرأى من الناس ومسمع ، فتحكيه الألسن وترويه الصحف ، فلا تجد لساناً يوافق لساناً ، ولا صحيفة تطابق صحيفة ! وتقرأ صحف العاصمة في حادثة من حوادث المدن ، أو واقعة من وقائع الأقاليم ، أو أمر من أمور العالم ، فتجد له في كل جريدة رواية تناقض كل رواية ، وصيغة تعارض كل صيغة ، حتى ليبلغ الخلاف بينها حد التناقض ، فتراها مثلاً يوم الأحد الماضي تجمع على أن الشُّرط اكتشفوا في شارع من شوارع القدس لغماً من البارود ، ولكن (البلاغ) تنفرد بأن الذي كشفوه منجم من الرصاص ! »

هذه هي إشارة أستاذنا الزيات إلى إحدى عجائب الترجمة حيث انفردت بها جريدة البلاغ . والخبر الذي أذاعته وكالة « اليونيتدبرس » وترجمته الصحف المصرية ومنها « البلاغ » يتمثل في هذه الكلمات : « اكتشف مراقبو هيئة الأمم المتحدة لغماً أرضياً في الطريق الموصل إلى بيت الحكومة في القدس ، حيث يقيم أعضاء لجنة فلسطين التابعة للهيئة . وقال المراقبون إنهم تتبعوا السلك المتصل باللغم إلى أن وصلوا إلى نقطة تابعة لإسرائيل المزعومة ، وإن اللغم كان في المنطقة الحايدة التي تحيط ببيت الحكومة . وأضاف المراقبون إلى ذلك أن تقريراً بهذا الحادث سيرفع إلى المستر تريجفلي السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ... الخ » .

لغم في كل الصحف ومنجم رصاص في « البلاغ » .. والذنب في ذلك ذنب المترجم اللبق الذي رجع إلى القاموس فاكتفى بالمعنى الأول للكلمة (Mine) ولم يكلف نفسه عناء الاطلاع على المعنى الثاني ! ولو فرض أن مترجم (البلاغ) لا يعرف غير معنى واحد للكلمة فكيف غاب عن ذكائه أن الكشف عن منجم رصاص لا يستحق كل هذه الضجة ، ولا يستحق أن يرفع بشأنه تقرير إلى سكرتير هيئة الأمم المتحدة ؟ ! كيف غاب عن ذكائه أن المعنى المقصود لا يستقيم مع « منجم الرصاص » فلا بد للكلمة من ترجمة أخرى ؟ !

« تشفيه » على السير ريالزم :

قلت وأنا في معرض الحديث عن المذهب السريالي في العدد الماضي من « الرسالة » إن هذا المذهب الجديد لا يشق طريقه في فرنسا وهي موطنه الأول بسهولة ويسر ، لأن خصومه الكثيرين يهاجمونه في عنف لا هوادة فيه ، ويرمون أصحابه بالدجل والخروج على كل مألوف من أوضاع الفن ! . . . قلت هذا بالأمس ، ويهمني اليوم أن أقدم للقراء هذه « التشفية » الطريفة التي يهديها خصوم المذهب السريالي إلى الرسام بيكاسو :

أقام بيكاسو معرضاً لصوره في إحدى المدن الفرنسية ، وفي يوم من الأيام الأخيرة بالزوار والمشاهدين ، وقف أحد الفنانين يتأمل لوحة فريدة أشير إليها بهاتين الكلمتين : « هنك عرض » ! وقف يتأملها ساعتين دون أن يخرج بشيء يوضح الصلة بين اللوحة وما جاء تحتها من كلمات يأباها الذوق والسمع ... وعند ما هم بمغادرة المكان شاكاً في ذكائه سمع صوتاً ساخراً يقول له :

— ثق يا صاحبي أن ذكاءك بخير ... لقد وقفت أمام هذه اللوحة ساعتين دون أن تفهم شيئاً ، فهل تعلم أنني وقفت أمامها أربع ساعات دون جدوى ، أنا الذي قُدمت إلى محكمة الجنايات ست مرات بتهمة هتك عرض ؟ !

أنور المعداوي

الأدب والأدباء في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأستاذ يسطو على شعر الزين :

قال الشاعر الذي فقدناه منذ عام وبعض عام ، الأستاذ أحمد الزين ، في مطلع رثائه لشاعر النيل حافظ إبراهيم :

أفي كل حين وقفة إثر ذاهب ... وصوب دم أقضي به حق صاحب
أودع صحبي واحداً بعد واحد ... فأفقد قلبي جانباً بعد جانب
تساقط نفسي كل يوم قبيضها ... بجوف الثرى والبعض رهن النوائب
فيادهر دع لي من فؤادي بقية ... لوصل ودود أو تذكر غائب
ودع لي من ماء الجفون صبابة ... أجيب بها في البين صيحة نائب

وأخيراً قال الأستاذ محمد الأسمر في تأبين المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا :

أفي كل يوم دمعة خلف غائب ... وفي كل يوم لوعة بعد ناوب
رجال كأمثال النجوم ثواقب ... مضى وهو لماع على إثر ثاقب
لأوشك دمعي أن يجف شؤونه ... على كل ماض ليس يوماً بآئب
إذا ما انتهينا من رثاء لذاهب ... بدأنا رثاء بعد ذاك لذاهب
أما يستريح الشعر في كل ساعة ... رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب ؟

وقد كان الأسمر صديقاً للزين ، فهل استباح السطو على شعر صديقه الراحل بحق الصداقة ؟ وهل هذا نوع جديد من الوفاء بين الشعراء ؟ أو هو مذهب جديد في الأدب يقضي بإرث الصديق لصديقه فيما قاله من الشعر ..؟ أوحسب الأسمر أن الزين قد قضى وانطوى شعره ، وأن أحداً لن يراه وهو يتسلل إلى مراثيه يستمد منها ما يجلجل به على المنابر ؟ على أنني عجبت للأسمر وما هو بالعاجز من النظم ، أن يكون أخذه من شعر الزين هكذا ظاهراً مكشوفاً .. دع عنك اتحاد الوزن والقافية ، وانظر إلى الألفاظ والمعاني . الم إلا إذا قدرنا جهده الجبار في استهدال (يوم) بـ (حين) والعدول من (وقفة) إلى (دمعة) ثم تحويل (إثر ذاهب) إلى (خلف غائب) في البيت الأول مثلا ! وكأني به قد أمسك بكل بيت من أبيات الزين ، فخنقه ، فأخذ أجزاء منه ميتة فبنى بها بناء لا تسكنه روح ، فقضاء حق الصاحب بمنع الدموع قضى نحبه في البيت الأول على يد الأسمر ، وكذلك كان مصير فقدان القلب تباعاً من توديع الراحلين المتتابعين في البيت الثاني ، وهكذا لحقت بقية الأرواح النابضة في أبيات الزين بروح صاحبها وانتقلت إليه في العالم الآخر . وانظر إلى الزين يستبق الدهر بعض فؤاده ويسأله أن يدع من ماء الجفون ، ليقضي حق الصاحب الودود ويستجيب لداعي البين حين يصيح النائب ، ثم انظر إلى الأسمر المطول الذي يطلب الراحة للشعر ، فالأول يندمج في جو الحزن ويستعذب بكاءه ويستبق للآتي بعده ، أما الثاني فهو ضجر من وقفته يستعجل الخلاص منها ، فيقول :

أما يستريح الشعر في كل ساعة ... رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب ؟

ولست أدري لم يرثي (الصاحب) إذا كان شيئاً آخر غير (الحر) ! كما لا أدري معنى التنويع بين الحر والصاحب ، ولم لا يكون الصاحب حراً ؟

وبعد فقد كان أحمد الزين وفياً لأصدقائه الراحلين من الأدباء والشعراء ، حتى لقد قصر مراثيه عليهم ، فهل هذا جزاؤه ممن رحل عنهم من الأصدقاء ؟ لكأنه كان يقول في نفسه حينما قال في حافظ :

وفاء الرسل بين معاشر ... نصيب الحي منهم وفاء الثالب
يدورون بالأمداح يبغون مأربا ... فيا ضيعة الأوطان بين المآرب

أو كما قال في ختام هذه المرثية الخالدة :

إذا الشعب بالإهمال أرسب عالياً ... فلا بدع لو يطو به كل راسب

بين صدر الأوزاعي وأم كلثوم :

لم يعد خافياً ما نشأ من خلاف بين الإذاعة وبين أم كلثوم في شأن إذاعة مسجلاتها الغنائية . ويظهر أن الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للإذاعة قد هالته طلبات أم كلثوم الباهظة فوقف في سبيلها . ومن هنا نشأت بين الاثنين معركة طريفة ، تستمد

طرافتها من مظهرها ، فقد كتب الأستاذ محمد التابعي يدافع عن أم كلثوم ويقول باستحقاقها ما تطلب من مال ، ويهاجم شخص المدير . ورد عليه الأستاذ عبد الرحمن الخميسي بمقال في جريدة « المصري » عنوانه « الأغاني في السوق السوداء » وصف فيه الأستاذ التابعي بأنه صديق أم كلثوم . ونشرت « البلاغ » مقالا بعنوان « الآنسة أم كلثوم تتقاضى أكبر مرتب في الدولة » ثم نشرت « أخبار اليوم » مقالا هاجمت فيه مدير الإذاعة وحسبت ما يتقاضاه من الإذاعة ومن معاشه في الحكومة فإذا هو ٣٠٦٠ جنيها سنوياً على حين أن مرتب رئيس الوزارة ٢٥٠٠ جنيه فقط .

وكأن مؤيدي أم كلثوم يقولون ليست هي وحدها التي تأخذ مالا كثيراً من الإذاعة أو تريد أن تستزيد من المال . ولكن هل هذا يبرر مطالبها ؟ إنها الآن تأخذ من إذاعة مسجلاتها ٦٣٠٠ جنيه في السنة وتريد أن تزيدها إلى عشرة آلاف وثمانين جنيهاً ، وكل ذلك دون أن تبذل أي جهد ، ولكنها وجدت الإذاعة « عسلا » فتريد أن « تلحسها » كلها .

وعقدة الخلاف أن الإذاعة تحرص على رضاء المستمعين وعدم حرمانهم غناء أم كلثوم وهي تعلم ذلك فتغالي في الثمن وتعلم أيضاً مكانها (خاطرها) من أعضاء مجلس الإذاعة .

ولولا أني لا أريد أن أنتقل من الجد إلى المزح لاقترحت أن ينقل أمر الإشراف على الإذاعة من وزارة الشؤون الاجتماعية إلى وزارة التموين ليعالج الأمر وزيرها الرجل العظيم صديق الشعب الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، فيضم مسألة الغناء إلى مسائل السكر والصابون والصودا الكاوية ..

ولكني ألوم المجد ، فأقول إن الأمر يتطلب الحزم والصرامة في سبيل الصالح العام ، فحرام أن تبدد أموال الدولة ، والدولة في حاجة إليها ؛ فهذه الأموال إما أن تكون الإذاعة محتاجة إليها في تدبير شؤونها كتحسين البرامج وإنصاف الموظفين وغير ذلك ، وإما أن تكون زائدة على حاجتها فمتى الدولة لما ألف وجه ووجه .

جوائز فاروق الأول :

أقيمت حفلة لجوائز فاروق الأول في العلوم الاجتماعية والكيميائية والجيولوجية وعلوم

كشكول الأسبوع

□ كان المقرر أن يجرى الانتخاب بالمجمع اللغوي يوم الإثنين الماضي لاختيار أحد المرشحين لملء الكرسي الخالي ، ولكن حال دون ذلك مرض سعالي الأستاذ أحمد لطفي باشا رئيس المجمع الذي يعالج الآن بمستشفى الدكتور عبد الله الكاتب ، عجل الله لسعاليه الشفاء ومنحه الصحة والعافية .

ولذلك تقرر تأجيل الانتخاب إلى أن يتم شفاء سعالي الرئيس . وهناك اتجاه إلى أن يستمر هذا التأجيل إلى أن يمضي أربعون يوماً على وفاة الجارم بك ، ثم يجرى الترشيح للكرسي الثاني ، ثم الانتخاب للكرسيين

□ نشرت « الأهرام » وبعض الصحف الأخرى ما يلي : « طلب إلينا الدكتور طه حسين بك أن ننشر أنه أزمع الانصراف عن الكتابة في الصحف إلى حين »

□ انتهت لجنة التحكيم في مسابقة النقابة العامة بوزارة المعارف من عملها ، وأعدت نتيجة المسابقة ، وقد فازت قصة « بعد الغروب » بدرجة الامتياز في القصة الطويلة ، واستحق كاتبها الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله الجائزة الأولى وقدرها ١٥٠ جنيهاً .

□ أعلن المجمع اللغوي أن لجنة الأدب به بحثت ما قدم إليها من الإنتاج الأدبي لسنة ١٩٤٩ فوجدت أنه لم يبلغ الدرجة التي تسوغ منحه الجائزة ، وقد أحسن المجمع في منعه بالجائزة على ما رآه دون المثل الذي يستحقها ، ولكن الجدير بالبحث بعد ذلك هو لماذا لم يقدم إلى المجمع ما يستحق الجائزة .

□ من الإنتاج الأخير للأستاذ المرحوم علي الجارم بك ، بحث ألقاه في مؤتمر المجمع اللغوي عنوانه « الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية » قرر فيه أن العرب جرت سليقته على الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة ، فيبدأ الجملة بالفعل ، وقد يلجأ إلى الجملة الإسمية إذا كان القصد إلى الفاعل وإلى الإسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل .

□ نشرت الأهرام أن محطة الإذاعة باحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ، أذاعت برنامجا يدور حول كائنات تغزو الأرض من المريخ فأحدث ذعراً في الجمهور الذي هجم على المحطة وأحرق دارها .

والحمد لله على أن إذاعتنا لم تبلغ هذا المبلغ من الإزعاج ، فلا يتجاوز ما تذيعه إحدى تجليات يوسف وهبي ، والناس لا يهجمون — بعد سماع براعمها — إلا على (الاسبرين) .

□ وضع سعالي وزير المعارف مشروع إنشاء جامعة « محمد علي » بأسيوط ، توطئة لعرضه على مجلس الوزراء ، ويتضمن هذا المشروع أن على الجامعة بجانب شؤون التعليم أن تشجع البحوث العلمية وتعمل على ترقية الآداب والعلوم في البلاد .

□ تعامل الدكتور أحمد أمين بك في إحدى جلسات المجمع اللغوي عن الفائدة العملية للكتابة المهزلة والألف اللينة أشكالا وألواناً كالبهلوان .

الحياة بجامعة فاروق بالاسكندرية فى عيد الميلاد الملكى . وألقى معالى وزير المعارف كلمة اللجنة الدائمة للجوائز ، فأعلن فيها ماوصلت إليه لجان الفحص لسنة ١٩٤٩ ، وقد رأت هذه اللجان أن الكتب والبحوث التى فحصتها لم تستوف بعض الشكليات والشروط لاستحقاق الجوائز

وكانت لجان الفحص قد غربلت ما قدم لها ، ثم صفت ما غربلته ، فكانت الصفوة : كتاب « أسس الصحة النفسية » للدكتور عبد العزيز القوصى عميد معهد التربية العالى ، وكتاب « ساڤونارولا » للدكتور حسن عثمان الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة فاروق ، وكتاب « السودان فى قرن » للأستاذ مكى شبيكة ، وبحث فى الجيولوجيا غير مطبوع للدكتور رياض عبد المجيد حجازى . فأوصت لجان الفحص بإيفاد حضراتهم إلى الخارج على نفقة الدولة تمكيناً لهم من وسائل البحث والدراسة بالاتصال بالمعاهد العلمية والهيئات العالمية . وكان الدكتور القوصى والدكتور حسن عثمان موجودين فى الحفلة ، فسافرهما مندوب جلالة الملك . أما الأستاذ مكى شبيكة والدكتور حجازى فهما فى الخارج ، الأول مبعوث من كلية غوردون السودانية إلى إنجلترا والثانى فى بعثة من وزارة المعارف إلى أمريكا وقد مدت له اللجنة مدة البعثة .

وقد نوه معالى وزير المعارف بأسماء المختارين الأربعة ، وأشاد بجهودهم العلمية ، وأشار إلى أن الغاية من تنظيم هذه الجوائز التى يتفضل بها جلالة الفاروق ، هى رفع مستوى الإنتاج العلمى ، فإذا رأت اللجنة الدائمة عدم استحقاق الجوائز فإنها تلجأ إلى وسائل أخرى تؤدى إلى تلك الغاية ، مثل إيفاد العلماء إلى الخارج لأنه يسهل لهم سبل البحث واستكمال الدراسة .

ولاشك أن هؤلاء الأربعة المختارين — وإن كانت مؤلفاتهم لم تنل الجائزة المادية — قد نالوا ما هم أهله من حسن التقدير والتكريم ، وخاصة الدكتور عبد العزيز القوصى ، فهو من مفاخر مصر فى علم النفس ، وله مكان ملحوظ فى المجامع العلمية بالخارج .

بناة النهضة :

نظم قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية سلسلة من المحاضرات العامة موضوعها « بناة النهضة المصرية فى القرن العشرين » شملت أنواعاً مختلفة من النهضات ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، وكان آخر حلقة فى هذه السلسلة محاضرة للدكتور محمد صلاح الدين بك عن بناة النهضة فى المسرح والموسيقى ، فتحدث عن الموسيقى من عهد محمد عثمان وسلامه حجازى إلى عبد الوهاب وأم كلثوم ، وتحدث عن المسرح من سلامة حجازى أيضاً إلى زكى طليمات ، وقد بين أهمية من تحدث عنهم فى الفن وأثره فى تطوره ، فسلامه حجازى زاوج بين المسرح والغناء ، وجورج أبيض استطاع أن يجعل للتمثيل قيمة مستقلة عن الغناء ، ومحمد تيمور وزملاؤه من هواة المسرح المثقفين كانوا طبقة ذات أثر كبير فى ارتقاء المسرح ، ومن هؤلاء زكى طليمات الذى لا يقتصر على الجهد الفردى فهو يهتم الآن جيلا جديداً يرجى على يديه عهد جديد للتمثيل فى مصر ، وكذلك فعل فى الموسيقى ، وقد وقف طويلا مع سيد درويش ، وقال إنه استطاع أن يجعل الفن ذا موضوع ، ومن عبقريته أنه ذهب فى التجديد إلى مدى بعيد مع الاحتفاظ بالأصول الشرقية للنغم والموسيقى .

هذا وقد نشر فى الصحف عنوان هذه المحاضرة هكذا « بناة النهضة الأدبية » واحتشد جمهور كبير فى قاعة بورت التذكارية ، وقدم رئيس قسم الخدمة العامة ، للمحاضرة بكلمة قال فيها إن المقصود بالنهضة الأدبية نهضة المسرح والموسيقى لما لهما من شديد الصلة بالأدب . وقد أخل هذا الوضع وهذا الجو إلى تقصير فى هذه السلسلة ، إذ أهمل فيها الجانب الأدبى إهمالا تاماً ، ولم يذكر رئيس الخدمة العامة سبباً مبرراً لهذا الإهمال . قد يقال إن الجامعة حرة فيما تختار من الموضوعات ، ولكنها محاضرات عامة تدعو إلى إلقائها بعض قادة الرأى والفكر فى مصر ، ومن تمام الفائدة أن تستوعب الجوانب المختلفة ، ولم يكن ينبغى أن يهمل الحديث عن النهضة الأدبية وهى أم النهضات جميعاً ، حتى أنك لا تجد نهضة إلا كان الأدب لسانها والأدباء باعثيها وداعين إليها .

عباس خضر

نصيب العلم :

كان من صدى الإعلان في « الرسالة » عن كتاب عالم الذرة ثلاث رسائل لا أكثر من بعض القراء . وصاحب إحداها يفرض على جزاء لقراءته مقالاتي في الرسالة أن أقدم إليه كتابي مع الشكر ، وأنا أقول له :

أنت غال وقد طلبت رخيصاً ينفع العلم إن تنله قنيصاً

وصاحب الرسالة الثانية يطلب الكتاب هدية لا قيمة لها جزاء تدلله في حبي . وقد حبر بهذا الكتاب أربع صفحات . وأنا أظنه من حسناء ، حتى كدت أعتقد أني أخو أفروديت أو ابن ثيتيس ؛ أو أني كيوبيد بعينه على الرغم من أني « بلغت من الكبر عتياً » والسنون « قد أوجعت سني إلى زجاج » وما انتهيت من تلاوة الرسالة حتى رأيت نفسي أمام مرآة .

وصاحب الرسالة الثالثة قصم رقبة ضنى بأن استشفع بسيد بلاد فاروقنا المعظم لأنه كتبها في يوم العيد السعيد . وإنه أرجو من حضرات القراء الكرام أن يعلموا أني أغلقت باب الشفاعات لكيلا يستشفعوا بالنبي الكريم وبالمسيح الرحيم . وخير لهم أن يشفعوا بالقروش العشرين إن كانوا يرون أن كتابي يساوي هذا الثمن السقيم ، والحمد لله رب العالمين .

فؤاد الدار

٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

وجود أو وجود واحد :

لا شك أن آفة الشرق هي الغرب ، وأن داء الشرقيين المستفحل هو إعجابهم بأن كل ما أتى به الفكر الغربي من مذاهب هو المثل الأعلى الذي ينبغي أن يحتذيه كل فكر ينشد الكمال . ونحن العرب نتخذ دائماً من المعايير الغربية مقاييس أفكارنا . فإن خالفتها فهي مبهمة غامضة ، وإن سارت على منوالها فهي واضحة جلية ، ولا نفكر مطلقاً في أن نعتز بنتاج الشرقيين بل ننظر إليه من خلال المذاهب الغربية التي تحول دون فهمه فهماً صادقاً ، ونصدر أحكامنا عليه .

وها هو الأستاذ نقولا الحداد لم يستطع أن يفهم مضمون حقيقة وحدة الوجود عند طاغور؛ لأن ذهنه مشبع بمذاهب الغربيين في هذه الحقيقة . ولا يدري كيف يحدد موقف طاغور بالنسبة للذين يقولون بأن أصل الوجود جوهر واحد سواء أكان روحياً أو مادياً ، أو بالنسبة للذين ينادون بثنائية الوجود أو يعتقدون بجوهرين هما الروح والمادة ، لأنه تعود أن ينسب كل رأي إلى فكرة غربية مماثلة لها ، ويقارنها بها ؛ فإن لم يجد لها نظيراً صعب فهمها عليه . ولذلك يجب علينا جميعاً أن نتعود فهم الأفكار الشرقية وعقولنا خالية من النظريات الغربية ، فإنها تشتت أذهاننا وتبلبلها فتأسرها في مكان ضيق لا تقدر أن تدرك ما خارجه ، وإن حاولت عجزت عن فهمه .

وكما قال الأستاذ الحداد أن يكون منبت حقيقة وحدة الوجود هو الشرق ، ولم يكن أول قائل لها هو اسبينوزا ، فأخذ يستوضح عن صلتها بالدين الهندوكي وتناقل عن أن أفلوطين قد تأثر بأفكار الهنود في وحدة الوجود الروحية ، وأني من قبل اسبينوزا بمذهب فيها ، قد تأثر به اسبينوزا نفسه كما تأثر ببعض المتصوفين الإسلاميين الذين تكاد كل نظرياتهم في التصوف مستمدة من صلب التعاليم الهندوكية .

أما كيف عرف الهنود تلك الوحدة فيرجع ذلك إلى عهد يبعد في القدم إلى أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، يوم كانوا يؤمنون بآلهة كثيرة تمثل مختلف قوى الطبيعة وشتى مظاهر الكون . ويوضح « الفيدا » وهو كتاب هندي مقدس لا يعرف واضعه أو واضعوه — ماهية كل إله ، ويذكر الأدعية التي ترفع له ، ويعين القرابين التي تبذل من أجله ولا يشير كتاب الفيدا إطلاقاً إلى حقيقة وحدة الوجود التي جاء بها « اليوبانيشاد » من بعده وهو كتاب هندي ديني آخر مجهول مؤلفه أو مؤلفوه . يضع فلسفة الهنود الهندوكية في وحدة الوجود ، ويضم كافة الآلهة الهندية في إله واحد يشملها جميعاً ويحل فيها ، وهو براهما الذي يستمدون وجودهم من وجوده ، ولا يعبدهم الهنود إلا لأنهم آلهة يتجلى منها الإله الأكبر « براهما » الذي يكمن في كل شيء في الكون . وإن مظاهر عبادة الحيوان وتحريم قتله ، وتقديس الأشجار ومنع قطعها ، والتبرك بمياه الأنهار ، يبين لنا كيف يعبد الهنود الظاهرات الطبيعية التي يستقر فيها براهما .

وتناول طاغور هذه الحقيقة بتفكيره الشاعري وعرضها بخيال الفنان الملهم في أسلوب روحي بفيض عذوبة وحلاوة. فإن اعترى أفكاره عند تأملها عقلياً بعض الإبهام، فلا يجب أن نلومه لأنه شاعر قبل أن يكون فيلسوفاً، وما أراد لنفسه أن يكون في يوم من الأيام فيلسوفاً، وإن ارتضى أن يكون شاعراً حكيماً. فهو ليس صاحب مذهب محكم التصميم يستند في تفسيره على منهج عقلي منظم. ولم يخط كتباً فلسفية قط. وإن حاولت أن أستخرج من كتابه « Sadhana » أصول فلسفة أعالج فيها المشاكل الميتافيزيقية والأخلاقية والفنية التي اشتغل بها طاغور بطريقة لا تمت لطرق الفلسفة بصلة، فإنما ذلك رغبة مني في أن أعرض أفكار حكيم في أسلوب فلسفي لا غير.

لقد زعم طاغور أنه لا يوجد إلا حقيقة واحدة لا تحتمل التفرقة بين خالق ومخلوق، وجودها روحي، وأن ما يبدو في الكون من مادة فهي مظهر خادع يخفي براهما المستتر داخلها؛ لأن براهما حين امتلأ بالسرور — ذلك السرور الذي لم يبين لنا طاغور كنهه، أو يذكر سبب نموه في براهما حتى امتلأ به — فصدرت عنه الخليقة لم ينفصل بينه وبينها فصلا تاماً، وإنما كن فيها وأعطى للانسان فرصة للعودة إلى منبعه الذي انبثق منه، بمنحه حرية التصرف في شئون دنياه، وتقييده بقانونه الأخلاقي ومن يقطع الصلة بين براهما والمخلوقات يقع في «المايا» أي الباطل الذي يخيل إليه أن الباطل مستقل عن المخلوقات بينما براهما يتجلى في الكون في صور القوانين التي يتقيد بها هذه المخلوقات فتخضع روح الإنسان للقوانين الأخلاقية، ويخضع جسده وجميع محتويات الطبيعة الأخرى للقوانين الكونية. ومعرفة هذه القوانين معرفة لله المتحد بكل شيء. إلا أنه لا يكفي للانسان أن يعرف هذه الوحدة ليصل إلى الكمال الروحي، وإنما يجب عليه أن يعرفها ويحياها معاً ويحس ببراهما الذي يوجد في كل جزء من أجزاء الكون إحساساً حياً، تنطلق له كل حركاته من أفعال وأقوال ويدمج شعوره بفرديته فيها جميعاً بحيث لا يستطيع أن يميز بين وجوده وبين سائر الموجودات.

وإذا أراد الأستاذ نقولا أن يعرف المزيد وكيف يفوز الإنسان بهذه الحياة فإني أرجعه إلى ما سبق أن نشرته في مجلة الرسالة عن طاغور وما سأنشره قريباً إن شاء الله عن فلسفة طاغور الأخلاقية والفنية.

عبد العزيز محمد الزكي

ظهرت الطبعة الثانية للجزء الأول من كتاب :

الجانب الالهي من التفكير الاسلامي

تأليف : الدكتور محمد البهي

خريج جامعتي برلين وهامبورج
وأستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية أصول الدين

١ — تزيد عن الطبعة الأولى بالتفصيل في بعض الموضوعات
٢ — وبالبساطة والتوضيح في أسلوب العرض
٣ — وبجودة الطبع وحسن الإخراج

سعر النسخة ٤٠ قرشاً

ملتزمو الطبع والنشر:

أصحاب دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه

ص . ب : ٢٦ الغورية — ت : ٥٠٨٥٦ — س ت : ١١٤٦٠

فى ميـــدان الجهاد

للأستاذ وهبي إسماعيل حق

إلى المجاهد الكبير ، من اجتمع إلى حكمة الشيوخ عزمات الشباب ، صاحب الدولة « أحمد باشا حلمي » وفقه الله في مهمته ...

كان الوقت ليلا ، وكانت السماء صافية الأديم ، وكان القمر يرسل أضواءه الفضية الساطعة ، فتملأ الأرجاء أمنا ، وتنشرها نوراً ، ولولا أن الجو تتخلى في جنباته موجات من برد قبراير القارس لتبدلت الحال ، ولخرج الناس من مكامنهم ليستمتعوا بهذه الطبيعة الأخاذة ، ويستنشقوا عبير النسيم الذي انبعث من البحر الأبيض يحمل النشاط والقوة ، ولما لجأت « كتيبة الإيمان » — إلى ذلك الكهف الذي اتخذته مقر لقيادتها ، في إحدى جبال فلسطين الكثيرة ، والتف أفرادها حول النار ليصطلوا .

وكانت هذه الكتيبة واحدة من الكتائب التي ألفت جيش الإنقاذ الذي خف إلى فلسطين حينما وضع اليهود من المغالاة في مطامعهم بإثارة الغارات — من آن لآخر — على القرى العربية الآمنة ، ومثلوا معهم تلك الأدوار التي حدثنا عنها التاريخ في عصور الجاهلية الأولى ، من هتك الأعراض ، وسلب الأموال وقتل الضعفاء من الشيوخ والأطفال .

واتخذت كهفا واسعا مركزاً لها ، فيه توضع خططها الحربية ، وفيه تحفظ المؤونة ، ومنه تشن الغارات ضد الصهيونيين العتاة .

كان ضوء القمر على باب الكهف يباري أشعة النار في تبديد الظلمة ، فيستطيع الإنسان أن يميز وجوه الحاضرين ، فيرى فيهم الأبيض والأسمر ، والأسود والأشقر ، ويرى فيهم الطويل والقصير .

فهؤلاء الأربعة البيض الذين اتخذوا مجلسهم قريباً من الوقد ، تنبيء ملامحهم أنهم أوربيون : فأما المملاقان — اللذان تشع من عيونهما أشعة القوة والجد ، وينبعث منها بريق الأمل — فهما من إحدى المدن الألبانية التي تنتمي أهلها بلبان الحرية ، ومن أجلها حاربا الطليان والألمان ، ثم حاربا الشيوعية ، وأخيراً تركا الوطن إلى إيطاليا فراراً بعقيدتهما .

وأما هذا الفتى الوريض الشكيين الذي ارتسمت آيات الحزن على صفحة وجهه ، ولاح الامتعاض وحب الانتقام في أساريره ، فإنه من تلك القرية البوسنوية المسلمة التي أغار عليها ذلك الوحش الآدمي المجرم « ميخائلوفيتش » فحرق رجالها وهم يؤدون صلاة العيد في أحد مساجدهم ، وأجبر نساءها أن يرقصن على الثلج عاريات ، بعد أن سلبهن الشرف والعرض ، ثم أعدمهن رميا بالرصاص . وكان من حظ رفيقنا هذا أن تأخر عن شهود الصلاة فنجا من الموت ، وفر إلى اليونان ومنها إلى إيطاليا .

أما هذا الذي يشبه الصيني إلى حد بعيد فهو من تتار بولونيا غادر بلاده بعد الزحف الروسي ليحارب الظلم والاستبداد فوصل إلى جبال ألبانيا وحارب مع عصاباتها جيوش المحور .

وجمعت المقادير بين الأربعة في أحد معسكرات إيطاليا ، واستمعوا إلى تلك الفظائع التي يرتكبها اليهود مع عرب فلسطين فهبوا للدفاع عن الحقوق المهضومة ورد العدوان الصارخ .

أما الباقون من أفراد الكتيبة فيستطيع من يراهم أن يعرفهم بسيماهم ولكنتهم العربية ، فمنهم المصري والسوداني ، ومنهم السوري والعراقي والمغربي واللبناني ومنهم غيرهؤلا كثيرون .

اجتمعوا حول النار في الكهف يتشاورون ويتباحثون في الأعمال التي يجب أن يتبدؤوا بها في غدهم .

وقال قائدهم الأكبر ، وهو فلسطيني أتم علومه في ألمانيا ، ودرس الفنون الحربية في معاهدها ، ونبغ في الهجوم الخاطف : في الصباح الباكر سنهجم على مواقع العدو القريبة منا في ناحية الشمال .

واستقر الرأي أن يبدأ الهجوم من الساعة الخامسة قبل أن تبزغ الشمس ، ويملأ نورها الجو ، وصدرت الأوامر للجميع

أن ينظفوا أسلحتهم ، وأن يتموا استعدادهم ... وتفرقوا إلى مضاجعهم فى زوايا الكهف ، وفى الساعة الرابعة جلجلت أصوات المؤذنين فى الفضاء : « الصلاة خير من النوم » فهرع الكل إلى الينبوع الذى لا يبعد كثيراً عن الكهف وأسبغوا الوضوء لصلاة الفجر ، وأمهم قائدهم . ولما قضيت الصلاة ، توجهوا إلى الله مخلصين أن يهيىء لهم النجاح فى مسعاهم ، وأن يكتب لهم النصر على أعدائهم .

ورجعوا إلى مقرهم فلبسوا أسلحتهم وحملوا أمتعتهم وخرجوا إلى باب الكهف يقطعون المسافة أمامه ذهوبا وجيئة وهم ينتظرون الأمر بالانقضاض ، وكل منهم يهمس لأخيه : متى سنذهب ؟ لقد تأخرنا اليوم !

ثم دوى فى الفضاء صوت جهورى تردد صداه فى جنبات الوادى : استعدوا .

فخشعت الأصوات ، وشمل الحاضرين سكون رهيب ، وتراص الجميع فى صفوف منتظمة ، ووقف على رأس كل صف ضابط ينادى الجنود بأسمائهم .

ثم برز القائد الأعلى وخطب فيهم يستنهض الهمم ويستحث العزائم فقال : لست أرانى فى حاجة لأن أذكركم بما يجب على الجندى فى الميدان من الاستبسال فى القتال ، والحرص على الفوز . لا أملك إلا أن أقول : علينا أن نصل إلى النصر بأى ثمن

فرد الجند من أعماق قلوبهم : إننا — بعون الله تعالى وحسن قيادتك — منتصرون . « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

وزحف الجند فى حذر ، وكانت النجوم لا تزال تؤدى رسالتها فى كبد السماء ، ترشد الضال ، وتنير الطريق . وكان البرد قد بلغ النهاية فى الشدة ، ولكن الكتيبة ما كانت تقيم له فى حسابها وزنا كأن حرارة الإيمان بددت من حولها برودة الطقس

وكان على الجند الزاحف أن يقطع مسافة غير قصيرة ليصل إلى خنادق العدو التى توفرت له فيها أسباب الراحة وألوان المتع ، وكميات من الزاد والذخيرة لا تحد ... ففيها الفرش الوثير ، والطعام الكثير ، والعتاد الوفير ، الذى نال على اليهود من كبريات دول الغرب .

وحين أصبحوا غير بعيد من مراكز العدو استمعوا إلى القائد يصيح فيهم : تأهبوا للهجوم . فانقسموا إلى أربع فرق ، كل فرقة لا تعدو العشرين ، وإن هى إلا لحظات حتى كانوا مرهفى الحس لتلقى أمر القائد .

ووصلوا إلى النطقة التى تجب فيها الحيطة ويلزم الحذر ، حيث الألغام البشرية ، والأسلاك الشائكة والقنابل المنثورة . ولم يمض إلا قليل حتى دوت أصوات الطلقات فى الفضاء ، فعلموا أن الحراس قد أحسوا بهم ، وأنهم يستعدون لقائهم .

وانبطح أفراد الكتيبة على الأرض ، وابتدأت المعركة ، وكانت رعدة من البرد قد سرت فى أجسادهم حين افترشوا الأرض ، لكنها لم تلبث أن تبددت عندما حمى الوطيس .

ثم تعالت صيحات الفزع من خنادق الصهيونيين ، وارتفعت أصوات السب واللعن لمن حرمهم لذة التمتع بالنوم فى ذلك الوقت الباكر .

وأخذ أفراد الفرق يتقدمون رويداً رويداً زحفاً على البطون ووابل الرصاص يمرق من فوق رءوسهم فلما كانوا على خمسين متراً من مقر الأعداء ، تزايدت الطلقات ، فلم يمنعهم ذلك عن التقدم فى العراء .

وقد أطلقوا السنة لأسلحتهم تقذف بنيرانها إلى الخنادق التى لم تتأثر بها كثيراً ، فكانت تصدم بالجدر المتينة ثم تعود من حيث أتت حسيرة ، لأنها لم تبلغ الغاية ، ولم تقم بالمهمة .

ونادى القائد نداءه الصارم : أيها الجنود البواسل ! الكلمة الآن للقنابل ... ليهجم الصف الأول على الخنادق الكامنة إلى اليمين . وأما الثانى والثالث فليقوما بالهجوم على الخنادق فى الشمال . وليقف الرابع بالمرصاد ، ليتقدم إلى من هم فى حاجة إلى مساعدته .

وبدأت الشمس تنشر أشعتها فى صفحة الكون ، فبثت الدفء وتخفف حدة البرد ، وتجلى الموقف على حقيقته ، فهناك قوتان تعتركان : أما أولاهما فهى قوة الظلم والعدوان ، وحوش فى زى الإنسان وجائرون فى لبوس ذوى الحق المضاع والجناح المهيض . وهم من أجل ذلك يرتعشون فرقاً ، ويرتعدون خوفاً كلما التقوا مع المجاهدين فى ميدان ؛ لأنهم لا يعرفون الحكمة ولا الدافع لمحاربتهم لهؤلاء الوادعين الذين أمنوا فى أوطانهم ، واطمأنوا فى ديارهم .

أما القوة الثانية فهى قوة الحق تتمثل فى هذه الحفنة من الأبطال الذين خرجوا من ديارهم وأبنائهم ، واستلوا سيوف

العدالة ليبطشوا بالذين استباحوا الحرمات ، واعتدوا على الحريات ، وعاثوا في الأرض فساداً ... إنهم حين يندفعون إلى الأوكار اليهودية ، قد وقر في نفوسهم ، وارتسم في أذهانهم تلك الفظائع التي ارتكبها هؤلاء الأشرار من سفك الدماء ، وتقتيل الأبرياء ، وهتك الأعراض ، وتشتيت الأسر ، وبقربطون الحبال ، فتلهب عزائمهم وتمتلىء نفوسهم بالشجاعة والقوة ، ويشعرون بالارتياح فيتقدموا إلى العدو وهم أشد تعطشاً لسفح دمه ثأراً لإخوانهم .

واستطاع جند الكتيبة أن ينفذوا إلى الخنادق ، وفي داخلها نشبت المعركة ، واشتد القتال . فلم يثبت لليهود قدم ، ووجلت قلوبهم ، وارتخت أعضاؤهم ، ولم يكن لهم هم سوى البحث عن الوسيلة للفرار .

ووقف بعض الجند من كتيبة الإيمان يقتلون من زينت له نفسه الهرب على باب الخندق ، وهم يصيحون من الفرح : أين موسى شرتوك الذي سول له شيطانه أن يفخر برجاله في العالم أجمع ؟ أهؤلاء هم الرجال الذين هددوا باحتلال الأراضي المقدسة حتى الحدود المصرية ؟. أهؤلاء هم الذين نشروا الخوف وأشاعوا الرعب في ربوع فلسطين الآمنة ؟. هاهي حصونهم لم تحمهم منا ؟ وها هي أشلاؤهم قد تناثرت حولها ؟ وها هي أسلحتهم واستعداتهم لم تحل بيننا وبينهم . إنهم باغون وعلى الباغي تدور الدوائر .

واحتلت الكتيبة خنادق اليهود . وتولتهم الدهشة من عجيب ما رأوا فيها ، فهي مزودة بكل طريف من الكماليات فضلا عن الضروريات : فهذه وسائل التدفئة الحديثة ، وتلك آلات الكهرباء ، وهذا رياش فاخر ، وذاك معين من المؤونة لا ينضب ، إلى غير ذلك مما لا يدع للشك مجالا في أنهم كانوا يعتقدون أنهم في هذه الأماكن مخلدون .

وتراءى لأفراد الكتيبة عظم الفرق بين القوتين وبين الاستعدادين ، كعظم الفرق بين السماء والأرض ... وانخلعت قلوبهم من الحيرة لهزيمة هؤلاء الصهيونيين مع هذا العدد الوفير ، وهذه العدة البالغة ، وأيقنوا أن النصر للقوة المعنوية دائماً ، وللقوة المادية نادراً .

وألقى الجنود نظرات خاطفة على عتاد الأعداء ليحملوا ما هم في حاجة إليه من متاع وسلاح ، ثم التفوا حول قائدهم ليصغوا إليه وهو يأمرهم بملاحقة الأعداء ومواصلة الهجوم حتى يجتنوا ثمار النصر ناضجة ، فانبسطت الأسارير ، وارتسمت على الشفاه بسمات الفرح بذلك النصر المبين . وتزايد سرورهم حين عرفوا أن عددهم لا ينقصه إلا ثلاثة قد لقوا حتفهم برصاصات صهيونية غادرة .

وتعانق الجميع عناقاً حاراً ، تعبيراً عن ابتهاجهم بهذا الفوز الحاسم ، ثم انصاعوا لأمر القائد الذي نادام : إلى الأمام أيها الأصدقاء ؛ فعلينا أن نحتل جميع المراكز القريبة ليتم تطهير المنطقة كلها .

واستبسل اليهود في الدفاع عن مراكزهم ، ونشطت مدافعهم الثقيلة والخفيفة ، وأطلت فوهاتها من فتحات الخنادق لتقذف الحمم ، وتجاوبت الطلقات ، وتلوت في أجواز الفضاء مسرعة متوالية كأنها حيات تسعى ، وكانت تزأر زئيراً مفزعاً ، وتدوي دوياً مزعجاً ، لو سمعه من لم يتعوده لطاش عقله ، وفقد السيطرة على أعصابه .

ولكن أفراد الكتيبة كانت قلوبها تخفق حفقات الشجاعة كلما سمعت قصف المدافع ، ورعد القنابل وعصف البنادق ، ولم يفت في عضدها تلك الانفجارات من حولها ولا ذلك الدوي الذي يصم الآذان .

وأحس الجنود أن ما معهم من العتاد أوشك أن ينفد ، ومع ذلك لم ينكص واحد منهم عن التقدم . ولكن اقتصدوا كثيراً في إطلاق الرصاص ، وكانوا يسددون إلى الهدف دائماً . وقرعت القنابل ولم يبق لدى الكتيبة سوى عدد لا يفي بالغرض من الطلقات .

وأحس العدو ذلك من فتورهم في الهجوم ، فقويت روحه ، واجترأ على الخروج من مكمنه ، وواجه أفراد الكتيبة بالعدد والعدة ، وتحولت المنطقة إلى قطعة من الجحيم ؛ فالتهبت البقاع ، واشتد القتال ... ثم نفدت ذخيرة الكتيبة ، وخمدت مدافعها ، وسكتت بنادقها ، ولكن أحداً من رجالها لم يبرح مركزه من موقفه لأنهم يعلمون أن لهم إحدى الحسنيين ، النصر المؤزر أو الفوز بالجنة .

ونادى القائد محمد : إلى الأمام أيها الأبطال ... لا ترهبوا الموت ... إلى الأمام فهناك النصر ... لكنه لم يتم كلمته فقد نفذت إلى قلبه رصاصة آثمة ألقته على الأرض ، وحاول أن يقف على رجليه فلم يستطع ... أراد أن يستعمل الموت حتى يؤدي واجبه كاملا لكن الموت لم يمهله ... تقدم خطوتين إلى الأمام زحفاً ولم يقو على الاستمرار ، فلم ألبها آخر لحظاته ، فرمق الجميع بنظرة

عطف وحنان ، وسمعه أقرب الجند إلى مكانه يهمس بكلمات متقطعة وهي منها : « إلى الأمام .. يا أصدقائي خذوا بثأري . لا تهدروا دمي ... تحيا .. » ثم فاضت روحه إلى بارئها تشكو تعسف الصهيونيين ، وتستنجز وعيده فيهم « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » ... وأنتم الجندي . كلته « تحيا فلسطين » .

ثم تقدم أصدقاؤه لينفذوا خطته ، وهم يعلمون أنه إنما أراد أن يقذف الرعب في قلوب الأعداء بهذا التقدم ، فيفسد عليهم خططهم ، وإن أعقب ذلك موت كثير من رجاله ، فالحرب تضحية .

ثم سمع الجند صوت القائد الجديد يأمرهم أن يثبتوا في أماكنهم ، وأن يفكروا في الانسحاب حتى لا يفجعوا الوطن في حياتهم ؛ فإن الذخيرة قد نفدت ، وإن القائد قد قتل ، وإن التقدم مع كل هذا معناه موت الباقين . وكان مما قاله لهم : فقوا إلى أن تصدر إليكم أوامر أخرى .

واشتدت ضربات اليهود ، وأقاموا ستاراً كثيفاً بمدافعهم الرشاشة لا ينسى لإنسان منه أن يرفع رأسه إلى أعلى إلا إذا كان في غنى عن حياته .

وطلب القائد إلى الجند أن يتبطحوا على الأرض ، وأن يزحفوا على بطونهم إلى أن يخرجوا من ميدان القتال ويبعدوا عن مرمى قذائفهم .

وكانت جثة قائدهم محمد على عشرة أمتار منهم ، تسبح في بحر من دمائه الزكية ، والتبس الأمر عليهم أيتركون هذا الجدث الطاهر في تلك الصحابة الآهة يعثون به ؟ أم يعودون إليه ليحملوه معهم وإن سبب لهم هذا العمل المتاعب والصعاب .

ولم يطل بهم التردد ؛ فقد وقف « سعيد » — وهو جندي من جنود الكتيبة غير البرزين — وأسرع إلى حيث جثم قائده وحاول زملاؤه أن يحولوا بينه وبين ما أراد فلم تجد محاولتهم ... وانحنى سعيد على جثة القائد وحمله بين يديه وهم به أن يرفعه إلى أعلى ، وما هو إلا أن برز صدره حتى ندت عنه صيحة مدوية أعقبتها آلات موجعة ؛ وسقطت الجثة أمامه ؛ فقد سدد إليه الأعداء رصاص بنادقهم فأصابه منها رشاش ، خارت له قواه ، واصطكت أسنانه ، ولكنه ملك زمام شجاعته ، واستجمع قوته وحمل الجثة ثانية ، وأسرع بها إلى قومه وهو يجر رجليه في مشقة بالغة وحين وصل إلى رفاقه سقط أمامهم مغشياً عليه ، تتفجر الدماء غزيرة من جوانبه تخط على رمال الصحراء صفحة المجد الخالد والبطولة النادرة ... وارتسمت على شفتي سعيد بسمة الرضا بما صنع ؛ فقد حال بين جثة قائده وزميله وبين الأعداء أن تعاث بها . وتم انسحاب الكتيبة إلى مكان أمين ، وقد حملوا معهم سعيداً الجريح ، وعمداً القتيل . ثم التفوا حول سعيد يضمدون جراحه ، وكلهم أسف لما حل به . فلما أفاق توالت عليه الأسئلة ، عن حاله ، وبماذا يحس ، وأجابهم بصوت خافت : إني بخير والحمد لله ... ليست حياتي في خطر ... وليس في سوى الحزن على محمد القائد البطل ... لقد كتب المسكين إلى أمه أمس ، وأنا الذي أودعت البريد رسالته التي يقول فيها إنني في صحة جيدة .. وإنني سعيد في حربي لهؤلاء الجبناء الأنذال ، وأجد اللذة في الانتصار التوالي عليهم ... ثم ختم الرسالة بقوله : إنك يا أماه ستفخرين كل الفخر عندما أعود إليك مرفوع الرأس عقب الانتصار النهائي على «بن مهيون» وأقص عليك تفاصيل المعارك التي خضناها ، وسيرة الأبطال الذين اشتركوا معي في هذا الجهاد المقدس » . ثم سالت من عيني سعيد قطرات من الدموع مسحها براحته ، والتفت إلى زملائه الذين أحسوا مثل إحساسه وهو يقول : والآن علينا أن ننتقم لمحمد . أليس كذلك أيها الأصدقاء ! فأجابه الجميع في صوت واحد : نعم ياسعيدا سننتقم له أشد الانتقام!

قال من نقل إلى هذا الحديث — وهو ممن خاض جميع المعارك مع هذه الكتيبة ، قبل أن تزحف الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين ، وكان ضابطاً في الجيش برتبة الملازم الأول ، فترك وظيفته وتطوع في جيش الإنقاذ — استرحنا يومين كاملين ، ثم فيهما استعدادنا ، وعادت إلينا حيويتنا ، ثم قمنا بهجوم خاطف عنيف على مراكز العدو في تلك البقعة . واشترك معنا سعيد ، وأبلى فيه بلاء حسناً ، واستشهد وهو يتزل العلم الصهيوني ليرفع مكانه العلم العربي فوق برج المستعمرة .

واحتفلنا بجنازته احتفالا رهيبا ، ودفناه بجوار « محمد القائد البطل » ووضعنا بجوار قبريهما حجراً كبيراً خططنا عليه تاريخ استشهادهما في الهجومين المتواليين ، ليذكر الذين يزورون الأراضي المقدسة تلك الأعمال الحربية العظيمة التي قامت بها الكتائب المتطوعة في تنظيف فلسطين من الوباء الصهيوني .

والآمال كبيرة في الجيوش النظامية ألا تدع صهيونياً واحداً يتنفس هواء تلك البقاع الطاهرة التي روتها دماء المجاهدين الأحرار

ثم انحدرت على وجه صديقي « صدقي » دمعة كبيرة وهو يستنزل الرحمة لزملائه الأبطال .

وهبي اسماعيل عفي
عضو البعثة الألبانية بالأزهر

كتاب قيم لصاحب الأغانى

مقاتل الطالبيين

لأبى الفرج الأصفهـــانى

بشرح وتحقيق

السيد أحمد صقر

أوفى مرجع فى تاريخ الشهداء من ذرية أبى طالب

منذ عصر الرسول إلى آخر القرن الرابع

فى ٨٥٤ صفحة من القطع الكبير

ثمن النسخة ٨٠ عدا البريد

يطلب من

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البـــابى الحلبى وشركاه بمصر

صندوق بريد الغورية ٢٦ — ت : ٥٠٨٥٦ — س ت : ١١٤٦٠

سكك حديد الحـــكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٩

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلك اعتباراً من أول مايو سنة ١٩٤٩ .

وفضلا عن أهمية الإعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيداً فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الإقبال على الإعلان فيها شديد

ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة